روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

155

د. نبيل فاروق

Looloo

www.helmelarab.net

الكهف

فى مكان ما من أرض (مصر) ، فى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّيَة مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1ـ بلا عودة ..

عجيب هو ذلك المستقبل ..

جالت العبارة فى رأس المقدَّم (نور الدين محمود) ، قائد أشهر فريق مخابرات علمية عرفته الأرض ، وهو يرقد هناك ، على تلك الوسادة الهوائية الناعمة ، داخل واحدة من أحدث غرف العناية المركَّزة ، فى ذلك الزمن المتقدِّم ..

ومن حوله ، راحت تلك الأشكال والشاشات الهولوجرامية تسبح فى فضاء الحجرة ..

لن يعتاد هذا المشهد أبدًا ..

أبدًا ..

كان يحاول جاهدًا تصفية ذهنه ، بعد المجهود الشاق الذى بذله جسده البشرى المحدود ، فى تلك القفزة الزمكانية ، التى لم يدرك أبعادها جيدًا بعد ..

القفزة التى أتت به وبفريقه إلى ذلك الزمن ..

المستقبل ..

حاول أن يسترخى ويغلق عينيه ، وهو يستعيد كل ذكرياته السابقة ..

ذكريات الكهف ..

ذلك الكهف الغامض ، الذى كشفته بعثة الدكتور (أنور شـعبان) ، فى جبال (سيناء) ..

ثم اختفت ..

البعثة كلها اختفت داخل الكهف ..

ودون أن تترك خلفها أدنى أثر ..

لغز غامض مثير ، كان يستدعى إرسال أقوى فريق علمى إلى المنطقة ، مزودًا بكل الأسلحة والمعدات والأجهزة ..

ولكن الخطر كان هائلاً ..

كان أكبر بكثير من الفريق نفسه ..

وهنـاك ، فى قلب (سيناء) ، واجـه الفريق أهوالاً ما بعدهـا أهوال ، وراح أفراده يختفون ، واحد بعد الآخر ..

وعندما تصوَّرت القيادة أن كل شىء قد فنى ، وأن الخطر يزحـف نحو (مصر) ، والعالم كله من بعدها ، اتخذت واحدًا من أخطر قراراتها ..

قرار نسف المنطقة كلهـا ، بقنبلة نووية محدودة ، ومحوها مـن الوجود تمامًا ، بكل ما عليها ..

ومن عليها ..

المخابرات العلمية المصرية ضحَّت بأقوى وأخطر فرقها ورجالهـا ، فى سبيل درء الخطر عن العالم كله ..

ومحيت المنطقة من الوجود ..

وبقى الكهف ..

كل ما حدث ، هو أن (نور) ورفاقه قد وجدوا أنفسهم فى عالم آخر ، وسط حضارة مختلفة ..

أو كما وصفها الدكتور (أنور شعبان) ، وسط سلسلة مختلفـة من التطوّر ..

حضارة قديمة ، تفوق حضارتنا عمرًا ومدى ، اختفت فى باطن الأرض ، فرارًا من العصر الجليدى(*) ، منذ ملايين السنين ، وراحـت تتطوَّر ..

وتتطوَّر ..

وتتطوَّر ..

ومؤخرًا جدًّا ، صعد علماؤها إلى السطح ..

وكشفوا وجود حضارة مختلفة ..

(★) العصر الجليدى ، أو (البلايستوسين) : حقبة سادت فيها الثلوج العالم ، وانخفضت الحرارة إلى حد مميت ، ليغطى الجليد كل منطقة الشمال ، وأجزاء كبيرة من (أوروبا) و(آسيا) ، وفيها انقرضت الديناصورات ، ونشأت بعض الأنواع ، مثل : (الماموث) .

حضارتنا ..

وبالنسبة لهم ، كنا كائنات عدوانية للغاية ..

كائنات تتقاتل فيما بينها ، وتتناحر فى عنف ، وتبتكر يوميًا وسائل قتل وتدمير لا حصر لها ..

وتفسد الأرض ..

وكدفاع عن النفس ، كان عليها مواجهتنا ..

وتدميرنا ..

ولأن قادتنا لم يدركوا هذا ، فقد واصلوا حربهم مع تلك القوى الغامضة فى باطن الأرض ..

كل هذا ، و (نور) وفريقه ، وبعثـة الدكتور (أنـور) ، يختبرون تلك الحضارة تحت الأرضية ، ويندهشون من ذلك المعدن الحيوى ، الذى قامت عليه تكنولوجيتها شديدة التطوّر ..

(الزوريوم) ..

عنصر تخليقى ، يجمع بين المعدن والمادة الحية ، ولـه قـدرة مدهشة على التشكل فى أية هيئة ، والتحول فى لحظات من حالة السيولة التامة ، إلى الجفاف والصلابة الشديدين ..

وبينمـا يحـاول (نـور) حل اللغز ، والاتصال بأصحاب تلك الحضارة تحت الأرضية ، كان القادة علـى السطح يستخدمون قنبلـة أعمـاق ، لتفجير بحيرات الحمم ، وتدمير تلك الحضارة كلها ..

ولكن حضـارة تحـت الأرض كانت تسبقنا بملايين السنين لـذا فلم يكن لأسلحتنا أى أثر يذكر عليها ..

كل ما فعلوه هو أن قفزوا بحضارتهم كلها ، بتكنولوجيا تفوق تصوّرنا ، عبر الزمن والمكان ، إلى نقطة ما فى المستقبل ..

نقطة تجاوزت كل الخطر ..

وتركت (مصر) تواجه مصيرها الرهيب ..

مصيرها البشع ..

فالحمم التى تفجَّرت فى الأعماق ، لم يكن لها سوى مخرج واحد .. فى قلب (مصر) ..

أما (نور) وفريقه ، فالله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم أين ذهبوا ..

وكيف سيكون مصيرهم هناك ..

فى مستقبل بلا أمل ..

وبلا عودة (*) ..

★ ★ ★

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأوّل والثانى (المفقودون) ، و(الزئبق لجف) .. المغامرتين رقمى (153) و(154) .

كل شىء يبدو عجيبًا فى عينى (نور) ..

كل شىء ..

ذلك الفراش الهوائى ، الذى يرقد عليه ..

آلات الفحص الهولوجرامية ..

الجدران المتألِّقة ، بذلك الضوء الهادئ ..

وحتى التلفاز أمامه ..

كان جهاز (هولوفيزيون) ، ثلاثى الأبعاد ، اعتاد ، رؤيتـه فـى مقر الفريق ، أو حتى فى منزله الخاص ، إلا أنه لم يكن منتشرًا بين العامة ..

فى زمنه ..

نعم .. هنا تكمن العقدة ..

ذاكرته ما زالت تحمل نمط زمانه ..

ولكنه لم يعد فيه ..

لم يعد ينتمى إلى الزمن الطبيعى ، الذى ينبغى أن يمضى فيه عمره ..

إنه الآن فى زمن آت ..

فى مستقبل ..

بالنسبة له ..

« ألم تستوعب الأمر بعد ؟! »

أتـاه السؤال بذلك الصوت المـألوف ، فـالتفت إلـى صاحبـه ، وطالع ابتسامته الهادئة ، التى ذكرته بابتسامة ابنته (نشوى) ، وقـال :

- أيبدو لك أمرًا يسهل استيعابه يا (طارق) ؟!

تطلَّع إليه (طارق) فى هدوء ، يحمل لمحة من الشفقة ، امتزجت بنظرة انبهار وتقدير ، ثم جلس على طرف الفراش الهوائى ، وهو يقول :

- ربما ليس بالنسبة لأى شخص عادى ، ولكن مع من له مثل سجلك الحافل ، ومن خاض مغامراتك المستحيلة ، فأظنه أمرًا يمكن فهمه على الأقل .

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- ربما تبالغ فى تقدير قدراتى .

ابتسم (طارق) ، مجيبًا :

- مطلقًا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

- ولكننى لا أمانع فى إعادة شرح الأمر كلـه على مسـامعك ، لو أن هذا يفيد .

اعتدل (نور) ، قائلاً :

ـ كلى آذان مصغية .

أومأ (طارق) برأسه متفهمًا ، واعتدل بدوره ، يقول :

ـ حتى هذه اللحظة ، لم يتوصّل علماؤنا قط لحقيقة ما حدث هناك ، فى باطن الأرض ، ولكن بعض النظريات تقول : إنه كان هناك شعب عظيم ، يحيا تحت أقدامنا ، دون أن نشعر أو نعى .. شعب سبقنا فى سلم الحضارة والتطوّر ، وبلغ شأنًا ، ربما لن نبلغه ، قبل مضى مائة قرن على الأقل .

كان (نور) يستمع بكل الشغف والانتباه ، و(طارق) يتابع :

ـ وربما لم ندرك وجود ذلك الشعب ، إلا عندما قرّر أن يترك الأرض كلها ، بحثًا عن عالم أفضل .

غمغم (نور) فى حيرة :

ـ عالم أفضل ؟!

أومأ (طارق) برأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ، فبعد الكارثة الكبرى ، لم يعد باطن الأرض آمنًا ، ولم يعد استمرارهم ممكنًا ، ولما لم تكن أجسادهم مؤهّلة للعيش على السطح ، فقد سعوا للبحث عن عالم آخر ، تحت أرضى ، يمكنهم العيش فيه بسلام .

غمغم (نور) :

ـ مثل كوكب (الزهرة) [*] .

وافقه (طارق) بإشارة من يده ، وقال :

ـ بالضبط .

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وكأنما يعجز عن استيعاب كل هذا ، ثم قال فى حزم :

ـ هناك نقاط عديدة ، تستوجب التوقف عندها يا (طارق) ؛ فما هى تلك الكارثة الكبرى ، وكيف غادر شعب الأرض كوكبنا ؟! و...

قاطعه (طارق) مبتسمًا :

ـ فيما بعد .. ستجد أجوبة لكل أسئلتك فيما بعد .. أما الآن ، فدعنا نوضّح ما أصابكم أولاً .

كان هناك ألف سؤال وسؤال ، يجوس فى رأس (نور) ، إلا أن قول (طارق) بدا منطقيًا ، فكتم (نور) أسئلته فى أعماق خلايا مخه الرمادية ، وحاول أن ينصت جيدًا ، و(طارق) يكمل :

(★) كوكب الزهرة ، ثانى كواكب المجموعة الشمسية ، بعدًا عن الشمس ، وهو محاط بغلاف غازى سميك ، يعوق الرصد ، ودرجة حرارة سطحه شديدة الارتفاع ، بالنسبة للحياة البشرية .

- أفضل ما فعله شعب (جروندا) .. وهو بالمناسبة الاسم الذى يطلقونه على أنفسهم ، قبل أن يغادر الأرض ، هو أن ترك لنا بعض علومه ، لنفيد منها فى تطوّرنا ، وفى منع أية كارثة أخرى فى المستقبل .. من تلك العلوم كان سر (الزوريوم) .. ذلك المعدن الحيوى المدهش ، الذى سيقفز بتطوّرنا التكنولوجى ألفى عام على الأقل ، ونظم الاتصال العقلى الفائقة ، و ...

صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، فى صوت بدا أكثر خفوتًا :

- وأنتم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- نحن ؟!

أومأ (طارق) برأسه ، وقال ، فى لهجة لم يبد عليها الارتياح :

- بالنسبة لهم ، كنتم مجرد عينات بشرية ، محفوظة فى حالة تجمُّد صناعى ، للفحص والدراسة ، ولكن ...

قاطعه (نور) مستنكرًا :

- للفحص والدراسة ؟!

بدت له الصورة بشعة أكثر مما ينبغى ، فهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول أن يطرد الفكرة منها ، قبل أن يتابع فى عصبية :

- وماذا فعلوا بنا بالضبط ؟!

زفر (طارق) فى توتر ، مجيبًا :

- هذا ما نحاول معرفته .

أشاح بوجهه وهو ينطقها ، فاتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، وأمسك معصمه فى قوة ، قائلاً :

- مهلاً .. هذه النقطة لا يمكن تجاوزها ، دون شرح واف .

أومأ (طارق) برأسه متفهمًا ، وتنهّد فى عمق ، قبل أن يغمغم :

- كنت أتوقَّع هذا .

ثم أفلت معصمه من قبضة (نور) ، وتحرّك فى توتر ، داخل تلك الحجرة ، التى يبدو كل ما فيها عجيبًا ، قبل أن يلوّح بذراعيه ، قائلاً :

- أوّل اتصال لنا ، مع شعب (جروندا) ، كان قبيل رحيلهم بالضبط ، وربما أجروا الاتصال مضطرين ؛ لأن رحلتهم إلى الفضاء تستلزم أوّلا الصعود إلى السطح ، أو ربما لأن تكنولوجيا الفضاء لدينا كانت أكثر تطوّرًا ، بحكم تواجدنا ونمونا على السطح .. المهم أن الاتصال قد تم فى سرية بالغة ، وعبر قنوات أمنية حذرة ، على رأسها المخابرات التكنورقمية ، وهى فرع متطوِّر ، من إدارة المخابرات العلمية السابقة .

غمغم (نور) :

- كل شىء تغيَّر بالفعل .

تجاهل (طارق) هذا التعليق ، وهو يكمل :

ـ لست أدرى بالضبط ماذا تم فى ذلك الاتصال ؛ إذ أنهم يعتبرونه من الأسرار العليـا للدولة ، ولكن اتفـاق ما تمّ بين باطن الأرض وسطحها ، بموجبه تم تزويـد شـعب (جرونـدا) بتكنولوجيا فضائية متطوِّرة ، وتزويدنا نحن بما سبق أن ذكرته .. وسـائل الاتصـال ، والمعدن الحيوى ، والعينات البشريةَ .

تمتم (نور) فى مرارة :

ـ نحـن .

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وهزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا متوقعًا ، فقد كان اختفاء فريقكم حدثًا مهمًا ومعروفًا ، فى التاريخ الأمنى كله ، وكان البعض يردِّد قصصكم مثل الأسـاطير ، أو الروايات الخيالية ، واسمكم صار اسمًا لواحد من أرفع أوسمة الشجاعة ، بعد الكارثة الكبرى .

قال (نور) فى اهتمام متوتر :

ـ أتعنى بالكارثة الكبرى ذلك الانفجار ، الذى أحدثه تدفُّق الحمم فى (سيناء) ، عبر ممر الكهف الذى ...

قاطعه (طارق) :

ـ ألا تود ترك هذا للنهاية ؟!

مطَّ (نور) شفتيه ، قائلاً :

ـ سيكون الفضول قد التهمنى عندئذ .

زفر (طارق) مرة أخرى ، وقال :

ـ حسن .. كارثة الحمم كانت رهيبة بحق ، فانفجارها فى قلب (سيناء) أخلَّ بالتوازن البيئى الطبيعى فى عنف ، مما تسبَّب فـى زلازل هائلة ، وفيضانات ، وانقلاب عنيف فـى الطقس .. الحمـم نفسـها أبادت كل القرى والبلدان المتاخمة للموقع ، وكـان عدد الضحايا يفوق ما شهدته حروب الغزاة نفسها (*) .

شعر (نور) بانقباض عنيف فى صدره ، مع ذكر كل هذا الدمار ، الذى تعافه نفسه دومًا ، وتمتم :

ـ يا للبشاعة !

تنهَّد (طارق) ، وقال فى مرارة :

ـ ولكن كل هذا لا يقاس بالكارثة الكبرى .

امتقع وجه (نور) ، وهو يسأله :

ـ ما هى ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

(★) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (76) .

- سلاح جديد ، ابتكره الأمريكيون ، وأرادوا به استعادة مجدهم القديم ، عندما كانوا يومًا على قمة العالم ، قبل أن يحكمهم نظام دموى حاقد أشعل الحروب فى كل أنحاء الأرض ، وهدَّد الجميع ، وقهر الحريات ، فانهار النظام الأمريكى كله .. كانت محاولة من إدارة جديدة ، لابتكار سلاح جبار ، يعيد (أمريكا) إلى القمة ، وكان سلاحًا رهيبًا بالفعل ، ولكن حتى هم لم يقدروا مقدار قوته ، عندما قاموا بتجربته .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر شديد :

- تحت الأرض .

خُيِّل لـ (نور) أنه قد بدأ يربط الأحداث أخيرًا ببعضها البعض ، وهو يقول فى انفعال :

- فهمت تلك التجربة هى التى هدَّدت أمان واستقرار شعب (جروندا) ، وأفسدت بيئته ، ودفعته إلى الفرار من الكوكب كله .

تنهَّد (طارق) فى آسى ، وقال :

- تلك التجربة كادت تودى بالكوكب كله ، وليس بأعماقه وحدها .. لقد ارتفعت حرارة الأرض إلى حد مخيف ، حتى أن البشر كانوا يسقطون صرعى فى الطرقات ، إلا أولئك الذين يعيشون فى مناطق شديدة البرودة ، أو الذين تمكنوا من الاحتماء بوسيلة ما .. عقد كامل من الموت والخراب والدمار شهده العالم .. ملايين البشر

لقوا حتفهم ، إما حرقًا ، أو مرضًا ، أو جوعًا .. الآلاف أصابهم تشوهات خلقية رهيبة .. لا أحد تجاوز ذلك العقد ، دون أن يدفع الثمن ، من دمه ، وأعصابه وعمره .. لا أحد ..

تمتم (نور) ، وهو يتلفَّت حوله مرة أخرى :

- ولكنكم نجوتم .

مرة أخرى ، تنهَّد (طارق) ، وقال :

- لم يكن ذلك هينًا .. لقد احتاج إلى جهد يفوق الوصف ، وإلى إرادة من فولاذ .. وإلى عقدين كاملين من العمل الشاق ، دون كلل أو ملل أو توقف .

عقدين كاملين !!

عشرين عامًا كاملة !!

ياله من رقم !

ويا لها من مفاجأة !!

كان يريد أن يلقى سؤاله ، ولكن (طارق) تابع ، والأسى يتقاطر من شفتيه مع كلماته :

ـ المهم أن (جروندا) قرَّروا الرحيل ، وأجروا الاتصال معنا ، ومنحونا إياكم ، فى حالة مدهشة ، كانت مفاجأة مذهلة للجميع ، وخاصة بعد أن اعتبرتكم كل كتب التاريخ مفقودين أو موتى .

تسارعت أنفاس (نور) ، وهو يسأله :

ـ كيف كنا ؟!

لوَّح بيده ، مجيبًا :

ـ مجمدين .. كنتم فى حالة غير مسجلة لدينا ، على الرغم من تقدُّمنا العلمى ، وكان على علمائنا أن يبذلوا جهدًا خرافيًا ؛ لفهم حالتكم ، وإفاقتكم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حذر :

ـ ولقد احتاج هذا إلى عامين إضافيين .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يسأله :

ـ ربما ارتبكت الأرقام فى ذهنى ، ولكن كم بقينا مفقودين .. أو كم بقينا على هذه الحالة ؟

صمت (طارق) لحظات ، وكأنما يطمئن إلى تأثير عبارته فى (نور) ، قبل أن يجيب فى توتر شديد :

ـ اثنين وثلاثين عامًا ..

وعلى الرغم من توقعه هذا ، كان وقع الجواب مفاجئًا لـ (نور) .. بشدة .

* * *

2ـ المصــير ..

فى صمت تام ، وسكون جعله أشبه بالتماثيل ، وقف القائد الأعلى للمخابرات التكنورقمية ، يتطلَّع عبر نافذة مكتبه الكبيرة ، على ذلك المشهد الممتد أمامه ، إلى مدى البصر ، دون أن ترى عيناه منه لمحة واحدة ..

كان ذهنه كله ينطلق بعيدًا ..

بعيدًا جدًّا ..

ألف فكرة وفكرة ، وألف سؤال وسؤال ، كلها تدور فى رأسه ..

فالموقف ليس طبيعيًّا ..

حتى بالنسبة لعلوم المستقبل ..

ففى كل السجلات والوثائق الرسمية ، كان (نور) وفريقه قد فقدوا ، واعتبروا ضحايا واحدة من مهماتهم المستحيلة ، منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود كاملة من الزمن ..

كتب التاريخ تحمل أسماءهم ..

وصورهم ..

وحكاياتهم ..

أوسمة الدولة صارت تحمل رمزهم ..

كيانهم تحوَّل إلى أسطورة ..

مجرَّد أسطورة ..

ثم فجأة ، عادوا إلى الحياة ..

لا أحد يدرى كيف ، أو لماذا ؟!

ولكنهم عادوا ..

عادوا ومعهم لغز كبير ..

لغز أضخم من أن يواجهه أحد ..

قطع تسلسل أفكاره المضطربة أزيز خافت ، أعقبه صوت بالغ النعومة ، يقول فيما يشبه الهمس :

ـ الرائد (طارق) ..

كان نظام اتصال آليًّا ، لم يكد يسمعه القائد الأعلى ، حتى قال ، دون أن يلتفت خلفه :

ـ ادخل أيها الرائد .

لوهلة ، ظلَّت الصورة خلفه جامدة ، ثم لم يلبث جزء من الجدار أن تموَّج فى بطء ثم اختفى ، ليظهر من خلفه (طارق) ، الذى تقدَّم داخل حجرة مكتب القائد الأعلى ، فى خطوات عسكرية ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ الرائد (طارق) يا سيِّدى .

التفت إليه القائد الأعلـى ، وتطلَّـع إلـى وجهـه بضـع لحظـات ، بنظرة حملـت مزيجًا مـن الاهتمـام والتسـاؤل والحيـرة ، قبـل أن يعتدل ، ويسأله فى حزم :

ـ كيف تقبَّل الأمر ؟!

مطَّ (طارق) شفتيه ، وقال :

ـ ربما أفضل مما تصوَّرنا ، ولكنه مـا زال يعانى من صدمـة قبـول الحقيقة ؛ فالانفصال عن زمن كـامل ليس بـالأمر السـهل .. إنهـا ليست رحلة عبـر الزمن ، كالتى قـام بهـا مـع فريقـه مـن قبـل ، وإنما ضياع من عالم كامل .. رحلة بلا عودة ، وبقاء فى زمـن ، يعد بالنسبة لهم مستقبلاً .

زفر القائد الأعلى ، وهزَّ رأسه ، بحركة توحـى بصعوبـة تقبُّـل الأمر ، ثم قال فى خفوت :

ـ وهل علم أن هذا دائم ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ عقليته تسمح باستيعاب مثل هذه الأمور ، ولكـن الاسـتيعاب شىء ، وتقبُّل الأمر شىء آخر تمامًا ..

غمغم القائد الأعلى :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

وزفر مرة أخرى ، قبل أن يشير إلى ركن الحجرة ، فتألق جزء منه ، ثم ظهر عنـده مكتب مستدير ، اتجـه إليـه ، وجلس خلفه ، متسائلاً فى قلق أكثر :

ـ وهل علم ما أصاب الباقين ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وتطلَّع إلـى (طـارق) طويـلاً هذه المرة ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ وماذا عنك أنتَ ؟!

لم يحر (طارق) جوابًا هذه المرة ، وإنما اكتفى بنظرة صامتـة مستسلمة ، جعلت القائد الأعلى يتابع ، فى توتر أكثر :

ـ وجودك يدل على أن الأحداث كلها لا تسير فى الاتجاه الصحيح .

غمغم (طارق) :

ـ أعلم هذا .

ثم رفع رأسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكننى ما زلت موجودًا .

تراجع القائد الأعلى بنظرة متسائلة ، فتابع (طارق) :

ـ وهذا يعنى أن الأمر لم ينحسم بعد ، فى مجرى الزمن .

زفر القائد الأعلى للمرة الثالثة ، ونهض من خلف المكتب ، الذى عاد يختفى ، فور ابتعاده عنه ، وهو يقول ، وقد بلغ توتره مداه :

ـ ولسنا ندرى ما إذا كان سينحسم أم لا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ بعـد .

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم شد قامته ، قائلاً :

ـ سيِّدى .. منذ ظهرت إلى الوجود ، وهناك أكثر من علامة استفهام حولى ، وربما يؤكد ملفى أن التحليل الجينى وحده حدَّد هويتى منذ البداية ، وهذا يعنى أن وجودى فى هذه الحياة ، وفى زمن تواجدى ، كان أمرًا ليس مألوفًا ، بالنسبة للقوانين الحيوية العادية ، وربما يكمن السبب فيما حدث .

تطلَّع إليه القائد الأعلى طويلاً ، ثم هزَّ رأسه ، وقال فى خفوت :

ـ الزمن سيبت فى هذا الأمر ..

الزمن ..

ترى ما الذى يخفيه ؟!

أو ما الذى يعنيه ؟!

بل ، ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!

وماذا سيثبته ؟!

أو ينفيه ؟!

مـاذا ؟!

مـاذا ؟!

★ ★ ★

« أين الرفاق ؟!-»

طرح (نور) السؤال ، فى لهجة حملت من التوتر والانفعال ، أضعاف ما حملته من القلق والاستفسار ، فتطلَّع إليه (طارق) لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب ، فى لهجة حاول أن يجعلها هادئة :

ـ الأمر لم يكن هينًا ، بالنسبة للجميع .

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

حاول (طارق) أن يفلت أصابع (نور) فى رفق ، وهو يجيب :

ـ لم نفهم بعد تلك الحالة ، التى كنتم عليها ، عندما احتفظ بك سكان (جروندا) ، ولكن أجسادكم كـانت داخل فقاعات كبيرة ، فى ذلك (الزوريوم) ، الذى لم نكشف كل أسراره بعد ، ولقد أعادوكم إلينا ، وقد بدءوا عملية إنعاشك وحدك .

سأله (نور) فى لهفة :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

صمت (طارق) لحظة ، ثم أجـاب ، وهو يبذل جهدًا أكبر ؛ لإفلات أصابعه :

ـ مازال علماؤنا يبذلون قصارى جهدهم .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وعاوده ذلك المشهد ، الذى رآه ، قبل أن يستعيد وعيه ، فشدَّد ضغط أصابعه علـى ذراع (طارق) ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ ولكنهم على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟!

بدت له لحظة الصمت الإضافية ، التى مرَّ بها (طارق) ، أشبه بدهر كامل ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ لو أنك تقصد أفراد الفريق ، فهم كذلك على الأرجح .. والدكتور (نور) يشاركهم حالتهم ، أما الدكتورة (نهى) ، فقد ..

أكمل (نور) فى عصبية :

ـ شاخت على نحو ملحوظ ، فى حين تحوَّل الشـابان الآخران إلى هيكلين عظميين .

حدَّق فيه (طارق) بمنتهى الدهشة ، وقال :

ـ رباه !... كيف علمت هذا ؟!

هزَّ (نور) رأسه فى قوة ، وقال فى عصبية :

ـ لست أدرى .. لم أعد أفهم شيئًا ، منذ دخلنا ذلك الكهف .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ويلوح لى أننا لم نخرج منه بعد .

قال (طارق) فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، وعاد يتلفَّت حوله ، قائلاً :

ـ ربما لم يعد الكهف نفسه ، الذى خرجنا فيه من عالمنـا وزمنتـا ، ولكنه كهف مستقبلى .. كهف ربما أصبحنا فيه مجرَّد كائنات وهمية ، عادت إلى الحياة ، أو أسطورة انبعثت من الرماد كالعنقاء (*) ..

(★) العنقاء : طائر خرافى ، فى أساطير المصريين القدماء ، يقال إنه لما بلغ عمره خمسمائة عام ، أحرق نفسه ، وبرزت من رماده عنقاء أخرى ، وهو رمز البعث أو الخلود .

وحمل صوته الكثير من المرارة والأسى ، قبل أن يضيف :

ـ كهف تكنولوجى .

تطلَّع إليه (طارق) مشفقًا ، ثم قال ، محاولاً التماسك :

ـ أنا واثق من أن كل شىء سيسير على ما يرام .

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، قائلاً :

ـ ومن أدراك ؟!

انفرجت شفتا (طارق) ، وبدا أنه يهم بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن تراجع عن عزمه ، مجيبًا :

ـ لدى أسبابى .

وانعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلَّع إليه مليًا ، بمنتهى العمق ..

وفى هذه المرة ، خيِّل إليه أنه يرى فيه ما لم يره من قبل ..

ملامحه تشبه بعض من عرفهم ..

ابتسامته تشبه ابتسامة ابنته (نشوى) ..

وجبهته عريضة مثل (رمزى) ..

وخصلات شعره شبيهة بخصلات شعر (سلوى) ..

لها نفس السواد ، المائل إلى الكستنائية ..

أما عيناه ، فهما تذكرانه بعينين رآهما كثيرًا ..

كثيرًا جدًّا ..

رآهما ، ولكنه لا يذكر متى ..

أو أين ..

وربما يعنى هذا أنه ينتمى إلى ...

« هل ترغب فى رؤيتهم ؟! »

قطع (طارق) تسلسل أفكاره بسؤاله ، فانتفض (نور) انتفاضة خفيفة ، وقال :

ـ بالتأكيد .. هل يمكننى هذا ؟!

ابتسم (طـارق) تلك الابتسامة الهادئة ، الشبيهة بابتسامة (نشوى) وهو يقول :

ـ بالإضافة إلى رغبتى الشخصية ، لدى أوامر قوية ، من القائد الأعلى شخصيًا ، بتنفيذ كل رغباتك يا جـ ...

بتر كلماته فجأة ، وصمت لحظة ، ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يكمل :

ـ يا سيِّدى .

لاحظ (نور) ذلك البتر ، إلا أنه لم يعلِّق على العبارة أو الموقف ..

ربما لأنه كان شديد اللهفة على رؤية رفاقه ..

ومعرفة موقفهم ..

شديد اللهفة إلى أقصى حد ..

ولكن اللهفة شيء ، والمواجهة شيء آخر تمامًا ..

فالمشهد قد بدا له مروعًا بحق ..

كان الجميع يرقدون داخل فقاعات شفافة هلامية ، من (الزوريوم) ، الذى يحيط بأجسادهم ، ويضعها فى حالة جمود تام ..

(سلوى) ..

و(نشوى) ..

و(رمزى) ..

و(أكرم) ..

وكذلك الدكتور (أنور) ..

كلهم كانوا داخل تلك الفقاعات العجيبة ، التى بدت شفافة ومتألقة فى الوقت ذاته ، على نحو مدهش ..

وحولهم ، كان هناك جيش من العلماء والأجهزة ..

علماء من كل لون ونوع ، وأجهزة لم ير (نور) مثلها من قبل قط ..

أجهزة تفوق أحدث ما عهده بأكثر من ثلاثين عامًا ، من عجلة تطوّر تتسارع مع كل ثانية ..

وكان المشهد مهيبًا ..

رهيبًا ..

مخيفًا ..

وبصوت حمل رنة مرارة ولهفة ، تساءل (نور) :

ـ أهناك أمل ؟!

كان يتمنى أن يومئ (طارق) برأسه إيجابًا ، أو أن يمنحه جوابًا حماسيًّا ، أو حتى شافيًا ..

بل ، وكان سيقبل بجواب مفتعل ..

ولكن (طارق) لم يمنحه إياه ..

فقط لاذ بالصمت بضع لحظات ، تطلَّع خلالها إلى المشهد بدوره ، ثم قال دون أن يلتفت إليه :

ـ إنهم يبذلون قصارى جهدهم .

سأله (نور) :

ـ وما الذى توصَّلوا إليه حتى الآن ؟ !

ضاعف صمت (طارق) من عصبيته وتوتره ، قبل أن يقول هذا الأخير ، فى خفوت شديد :

- مازال هناك عامل مجهول !

هتف به (نور) :

- أى عامل هذا ؟!

لوَّح (طارق) بذراعيه ، قائلاً ، فى لهجة حملت بعض اليأس :

- عندما أعادكم شعب (جروندا) ، قبيل تركه كوكب الأرض ، كنت أنت تستعيد وعيك ، وكانوا هم على تلك الحالة ، التى تراهم عليهـا ، ولم يكن هناك كتيب تعليمات ، أو نظام معروف للإفاقة ، ولقد وقعنا كلنا فى خطأ كبير ، عندما تصوَّرنا أن استعادتك وعيك تعنى أنهـا مسألة وقت فحسب .

وزفر فى توتر ، مضيفًا :

- ولكنهم لم يستيقظوا .

أمسك (نور) كتفه فى قوة وانفعال ، وهو يقول :

- ولكن علماء (جروندا) لم يعيدوهم فقط ليبقوا مجرَّد لغز .. هناك حتمًا وسيلة ما لاستعادتهم .

ثم راح يهز (طارق) فى قوة ، مضيفًا ، وقد تضاعف انفعاله وتوتره :

- لا يمكن أن نتركهم على هذا الحال .. لا يمكننا هذا .. هل تفهم .. لا يمكننا هذا .

هتف به (طارق) ، وهو يحاول التملُّص منه :

- أفهمه بالطبع .

ثم تراجع بحركة حادة ، مضيفًا فى عصبية :

- وأنا أكثر من يهمه عودتهم إلى وعيهم ..

ولدهشة (نور) ، تألَّقت الدموع فى عينـى (طـارق) ، وهـو يضيف :

- وجودى كله يعتمد على هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهـو يتطلَّـع إلـى ملامحـه مرة أخرى ..

وتوقَّف عند عينيه ..

عينيه بالتحديد ..

وفى خفوت ، غمغم :

- وجودك ؟!

نطقها بمنتهى الحذر والتفكير ، فأشاح (طارق) بوجهه ، وقال فى توتر واضح :

ـ ربما لم يحن وقت المصارحة بعـد ، ولكن ثق فى أننى أبذل قصارى جهدى لإنعاشهم .

راحت الأمور كلها تترتب فى ذهن (نور) ، والمعلومات تتراص على نحو مدهش ، حتى خيِّل إليه أن ذهنه يصفو ..

ويصفو ..

ويصفو ..

وبحركة حادة ، أمسك كتفى (طارق) ، وأداره إليه على نحو مباغت ، جعل هذا الأخير يهتف منزعجًا :

ـ ماذا حدث ؟!

ودون أن يجيبه ، تطلَّع (نور) إلى عينيه ..

إلى عينيه مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، فهم كل شىء ..

فهم لماذا بدت ملامح (طارق) مألوفة ..

لماذا تبدو ابتسامته أشبه بابتسامة (نشوى) ..

ولماذا يمتلك جبهة (رمزى) ، وشعر (سلوى) ..

وعينيـه ..

نعم .. عينـى (طارق) تذكراه بـالعينين ، اللذين تطالعانـه ، كلما نظر فى المرآة .. بعينيه هو ..

نفس الاتساع ، واللون ..

والبريق ..

ومع لمحة الفهم ، شعر (نور) بدوار عجيب يكتنف عقله ..

دوار كاد يفقده توازنه ، حتى إن (طارق) أسرع يمسك به ، وهو يهتف فى جزع :

ـ جدى .. ماذا أصابك ؟

أمسك (نور) معصمه فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

ـ جدك ؟!

امتقع وجه (طارق) ، وارتبك بشدة ، وهو يغمغم :

ـ كنت أقصد أن ...

قاطعه (نور) فى حزم ، وهـو يتماسك أمامه ، دون أن يفلت معصمه :

ـ كنت تنطق الحقيقة يا (طارق) .. الحقيقة التى ربمـا تذهل أى شخص يراقبنا ويتابعنا الآن .. حقيقة أننا نبدو متقاربى العمر ، ولكن الحقيقة أنك حفيدى ..

امتقع وجه (طارق) أكثر ، وحاول أن يفلت معصمه من قبضة (نور) ، وهو يهتف :

ـ أى قول هذا ؟!

أراد أن تخرج عبارته مستهجنة مستنكرة ، إلا أنها خرجت من بين شفتيه ، على الرغم منه ، متخاذلة مستسلمة ، أشبه باعتراف صريح بالحقيقة ..

الحقيقة التى تتعارض مع أبسط القواعد البيولوجية المعروفة ، فى الكون كله ..

وبعينين متسعتين ، راح يحدّق فى (نور) .. بحدة ..

فذلك التطوّر المدهش ، فى أسرة المقدّم (نور) ، كان تركيبة بيولوجية عجيبة ..

عجيبة إلى حد أسطورى ..

فابنته (نشوى) نضجت قبل الأوان قديمًا ..

بقفزة واحدة ، تجاوزت طفولتها وصباها ، ووثبت إلى شبابها ، عبر ثقب فى سلم التطوّر الطبيعى ..

ويتطوّر غير مألوف ، صارت قريبة فى العمر من والديها (نور) و(سلوى) ..

ثم ها هو ذا حفيد ، لم تنجبه بعد ، يساوى عمره عمر أمه ، أو ربما يفوقها بعامين أو ثلاثة ..

وهو أقرب سنًا من جده ..

ويا لها من مفارقة ، لا يمكن أن تحدث ، إلا فى كتب وروايات الأساطير القديمة !!

أب ، وابنته ، وحفيده ، لا يتجاوز فارق السن بين ثلاثتهم أصابع اليد الواحدة !!

من يمكنه أن يصدّق هذا ؟!

بل من يمكن حتى أن يتخيله !

« ولكن كيف ؟! »

هتف (نور) بالسؤال ، فى دهشة عارمة ، وعلامات التفكير العميق تعتصر ملامحه كلها بشدة ..

وقبل أن يسأله (طارق) عما يعنيه ، تابع :

ـ كيف يمكن أن تتواجد ، و(نشوى) لم تنجبك بعد ؟! أعنى فى زمننا ، الذى لم يعد باستطاعتنا العودة إليه ، كما تؤكدون .

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يمكننى فهم هذا ، حتى هذه اللحظة ، ولكننا كرَّرنا الفحوص الجينية مرتين ، بعد عودتكم إلينـا ، وفى كل مرة تكون النتيجـة واحدة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

ـ أمى هى (نشوى) ، وأبى هو (رمزى) .. وتاريخ مولـدى يعقب اختفـاءكم فـى عـالمكم ، وهـذا يتعـارض مـع كـل قوانيـن الطبيعة .

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

ازدرد (طارق) لعابه ، قبل أن يجيب بكل مرارة :

ـ إمـا أن أمـى وأبـى سـيعودان إلى عصـرهما بوسيلة مـا ، أو ...

صمت لحظة ، ثم أضاف ، بمزيد من المرارة :

ـ أو أنه سيتم محوى تمامًا ، فى الساعات القادمة ، من سجل المخلوقات .

واتسعت عينا (نور) ..

فقد كان الاحتمال مخيفًا ..

مخيفًا للغاية .

★ ★ ★

3ـ غيبــوبة ..

راجع القائد الأعلى للمخابرات التكنورقمية ذلك التقرير ، الذى قدّمه له الدكتور (راشد) ، رئيس قسم الأبحاث العلمية الفائقة ، وراح يعيد قراءة بعض فقراته ، قبل أن يضعه جانبًا ، ويسأل الرجل فى قلق :

ـ أتعنى أن إفاقتهم لم تعد ممكنة ؟!

أشار الدكتور (راشد) بيده فى يأس ، قائلاً :

ـ لقد استخدمنا كل الوسائل ، واستعنا بخبراء فى الإفاقة ، وعلماء فى البيولوجيا والفيزياء ، والطبيعة النووية ، والحيوية ، وفحصناهم بالأشعة السينية ، والموجات فوق الصوتية ، والرسام المقطعى ، وحتى بالأشعة دون الحمراء ، وفوق البنفسجية ، ولم نصل إلى نتيجة ..

وتنهَّد فى أسى ، مضيفًا :

ـ تكنولوجيا (جروندا) ما زالت غامضة بعض الشىء ، بالنسبة لعلمائنا ، ويبدو أنهم لم يتصوروا حيرتنا هذه ، أو أنهم أحسنوا الظن بعلومنا ، فلم يمنحونا الكثير ، قبل أن يرحلوا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ أو أنهم خشوا أن يمنحونا الكثير .

مطَّ الدكتور (راشد) شفتيه ، وغمغم :

ـ بعد كل ما فعلناه ، لن يدهشنى أن يخفوا علومهم عنا .

زفر القائد الأعلى ، وكأنه يؤيد قوله ، ثم نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول فى حزم :

ـ فلنعلن فشلنا فى إفاقتهم إذن .

تمتم الدكتور (راشد) :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكننا لن نعلن شيئًا .

استدار إليه القائد الأعلى بحركة حادة ، فأضاف فى توتر :

ـ عودة فريق (نور) ما زالت سرًا عسكريًا ، لم يعلن بعد ؛ لما يمكن أن يسبِّبه من بلبلة واضطراب فى أذهان العامة ؛ لذا فما الذى يعنيه إعلان عجزنا عن إفاقة فريق ، تقول كل الوثائق الرسمية ، أنه مفقود منذ أكثر من ثلاثين عامًا .

عاد القائد الأعلى إلى مكتبه ، وراح يدير الأمر فى رأسه ، وهو يشبك أصابع كفيه أمامه ، قبل أن يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ وماذا عن (نور) نفسه ؟! كيف سنفسر له الأمر ؟

هزَّ الدكتور (راشد) كتفيه ، وقال :

ـ ما من شك فى أن الحقيقة ستصدم رغبتـه ، وتهدم آمالـه ، خاصة وأنه ، بالنسبة إليه ، لم يفقد فريقه إلا منذ يوم أو بعض يوم ، وربما تكون الصدمة قاسية أيضًا ، ولكنـه رجل مخـابرات علمية ، ومن المؤكد أن نفسيته قادرة على تقبُّل هذا .

وصمت لحظة ، ليكمل بعدها :

ـ ثم إن عجزنا عن إفاقتهم الآن ، لا يعنى عجزنا عن هذا إلى الأبد .

أطلق نظرة متسائلة ، من عينى القائد الأعلى ، فتابع الرجل :

ـ علماؤنا يواصلون دراساتهم لذلك المعدن الحيوى المتشكِّل ، الذى أطلقه عليه اسم (الزوريوم) ، وفى كل يوم يفاجئنا بسمة جديدة ، وربما .. أقول ربما نتوصَّل إلى سمة ما ، تساعدنا على فهم حالتهم .

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، يسأله :

ـ وكم يمكن أن يستغرقه هذا ؟

مطَّ الرجل شفتيه ، وأجاب فى خفوت :

ـ من يدرى ؟!

ثم استدرك ، فى حماس مفتعل :

ـ ولكن المعارف تتطوَّر فى كل يوم .

غمغم القائد الأعلى :

ـ بل فى كل دقيقة .

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يعتدل بحركة حادة ، قائلاً :

ـ أريد مقابلته .

كانت العبارة واضحة ، إلا أن الدكتور (راشد) غمغم :

ـ مقابلة من ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ (نور) .. المقدم (نور) .. إنه ما زال يحمل رتبـة هنـا .. أليس كذلك ؟!

غمغم الدكتور (راشد) فى حيرة :

ـ بلى .. ولكن ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى حزم أكثر :

ـ أريد مقابلته .. فورًا .

وكان هذا أمرًا واجب التنفيذ ..

وفورًا ..

* * *

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، يغمر تلك البقعة الخاوية ، التى يقف فيها (نور) ، داخل مبنى المخابرات التكنورقمية ، وانساب صوت ناعم هادئ ، يقول :

ـ تحدَّث كى أتعرَّفك .

تنحنح (نور) ، وقال فى حزم :

ـ المقدم (نور الدين محمود) ..

ثم ابتسم فى عصبية ، مضيفًا :

ـ لو أننى لم أحصل على أيـة ترقيات ، خـلال اثنتين وثلاثين عامًا الماضية .

شعر بشىء دافئ يغمر جسده كله ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، قبل أن يسمع ذلك الصوت الناعم الهادئ يقول :

ـ تم تحديد الهوية .. مسموح بدخول العنصر المطلوب .

لم يرق له وصفه بالعنصر ، إلا أنه لم يعترض ، وظلّ واقفًا فى مكانه ، والأرضية كلها تنزلق به ، عبر ممر طويل ، انتهى بقاعة خالية أخرى ، ران عليها صمت تام ثقيل ..

وعلى الرغم من اعتياده مثل هذه الأمور ، شعر (نور) بتوتـر شديد ، يسرى فى كيانه كله ، وهو يقف وقفة عسكرية صارمة ، فى انتظار ما سيسفر عنه الموقف ..

ومن عدة ثقوب حوله ، سقطت خيوط من الأشعة الأرجوانية ، على كل ذرة فى جسده ..

وبحركة هادئة سريعة ، تحركت تلك الخيوط ، وكأنها ترصد جسده كله ، قبل أن يسمع صوتًا حازمًا يقول :

ـ سنوات طوال لم نلتق فيها أيها المقدم .

بدا الصـوت مألوفًا إلى حد ما ، مما دفـع (نور) إلى التلفُّت حوله ، وهو يقول فى توتر :

ـ المقدَّم (نور) فى خدمتك يا سيِّدى .

عاد ذلك الصوت ، يقول ، عبر جهاز ما :

ـ عندما التقينا آخر مرة ، كنت تفوقنى رتبة .

قال (نور) ، وقد توقَّف عن البحث عن مصدر الصوت :

ـ لو حصلت على ترقياتى المتأخرة ، لعاد الموقف كما كان .

العبارة كانت تقرِّب صاحب الصوت المألوف إلى ذهنه ، الذى راح يعتصره ، بحثًا عن جواب ..

ولكن الموقف لم يكن يحتاج إلى كل هذا الجهد ..

فما هى إلا ثانية ، وبدأت صورة تتكوَّن ، فى فراغ الحجرة .

صورة مألوفة تمامًا ..

صورة شاب ، يبتسم ، قائلاً :

ـ أتعشَّم أنك لم تنسنى .

هتف (نور) :

ـ الرائد (أيمن) ؟!

تبدلت صـورة الشـاب على الفـور ، وتحولت إلى كهل وقور له نفس الابتسامة والصوت ، يقول :

ـ لم أعد أحمل هذه الرتبة ، منذ ما يزيد عن الأعوام الثلاثين يا (نور) .. أنا الآن القائد الأعلى للمخابرات التكنورقمية .

حدق (نور) فى الصورة بدهشة ، قبل أن يستعيد رصانته ووقفته الثابتة ، وصوته الحازم :

ـ كل شىء يتطور .

ثم أضاف ، مع رنة دهشة :

ـ ولكننا كنا نتصور أنك قد لقيت مصرعك فى الـ ...

قاطعه (أيمن) :

ـ لقد نجوت بأعجوبة .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ وأنت الآن قائدى الأعلى .

قال (أيمن) فى سرعة :

ـ لو أنك بقيت ، لما نالها سواك .

ثم استدرك فى حرج :

ـ أعنى لو لم يتم اعتبار فريقك مفقودًا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أظن هذا ؛ فطبيعتى تنفر من المراكز القيادية ، وتميل إلى العمل الميدانى .

ابتسم (أيمن) ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ السن لا يسمح لنا بالاستمرار فى العمل الميدانى طويلاً للأسف ، ولو أنك مررت بالتغيرات العمرية الطبيعية ، التى مررت بها أنا ، لقبلت المنصب دون مناقشة .

مطّ (نور) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ربمـا .

ثم عاد يبتسم ، مستطردًا :

ـ ولكن الواقع الآن أنك قائدى الأعلى .

صمت (أيمن) بضع لحظات ، وعقد كفيه خلف ظهره قبل أن يقول فى حزم واضح ، بدا معه مستحقًا لمنصبه :

ـ الواقع هو أننا إزاء موقـف غير طبيعى ، ومشكلة نعجز ، نحن أعلى جهة علمية فى البلاد ، عن مواجهتها .

شدَ (نور) قامته ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل تشير إلى مشكلة عودتنا ، أم ...

قاطعه (أيمن) فى حزم :

ـ بل أتحدَّث عن مشكلة الباقين .

ثم بدا عصبيًا ، وهو يضيف :

ـ إننا نعجز ، بكل علومنا وإمكانياتنا ، عن إفاقتهم ، وإعادتهم إلى الحياة .. أو بمعنى أدق ، إلى الوعى .. العلماء أيقنوا من أن أجهزتهم كلها تعمل بكفاءة ، داخل تلك المادة الحيوية ، إلا أنها تعمـل كلهـا بمعدلات أبطأ حتى من كل مـا يمكن أن يصـل إليه لاعبو (اليوجا) .. وتلك المادة الحيويـة لا تحيط بهم فحسب ، ولكنها تملأ كل شىء فيهم أيضًا .. المعدة .. الرئة .. تجويف البطن .. إنها منتشرة فى كل جزء منهم ، والعلماء يرون أن سحبها ، بأية وسيلة معروفة ، قد يؤدى إلى انهيار مفـاجئ فـى معدلاتهـم الحيوية ، و ....

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ وموتهم .

شعر (نور) برجفة تسرى فى أوصاله مع الكلمة ، وبدا لـه أن هواء الحجرة يقلّ على نحو ملحوظ ، فتسارعت أنفاسه ، وهو يقول :

ـ يمكننا أن نبقى عليهم ، فى حالتهم هذه ، حتى نجد وسيلة ما .

لاحظ تردُد (أيمن) ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أنه هنا تكمن المشكلة .

اضطربت أعصابه بشدة ، وهو يسأل :

ـ أية مشكلة ؟!

لوَّح (أيمن) بذراعيه ، وهو يجيب :

ـ (الزوريوم) المحيط بهم ، يمنع وصول الطعام والغذاء لهم ، ولكن علماءنا كشفوا أنه ، بوسيلة ما ، تم تزويده بغذاء مـن الطاقة الصافية ، يمد أجسادهم بكل ما تحتـاج إليـه ، فى فترة التجمـد أو الغيبوبة .

غمغم (نور) ، فى حذر عصبى :

ـ ماذا إذن ؟!

أجابه (أيمن) ، فى توتر شديد :

ـ تلك الطاقة تنضب تدريجيًا .. ربمـا لأن أجسـادهم تستهلكها طوال الوقت ، لتبقى الخلايا حية ، ولاتوجد أية وسيلة معروفة ، لدفع

مزيد من الطاقة فى (الزوريوم) ، وشعب (جروندا) لم يخبرنا كيف نفعل هذا ، و ...

قاطعه (نور) فى عصبية :

ـ ومـاذا ؟!

صمت (أيمن) لحظة ، وكأنما لم ترق له مقاطعة (نور) ، ثم أجاب ، بكل الحزم والصرامة :

ـ الغذاء على وشك النضوب ، وهـذا يعنى أننا ، لو لم ننجـح فى إفاقتهم فى الوقت المناسب ، فسنكتفى بمراقبتهم وهم يموتـون ... جوعًا .

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما فى هلع ..

مستحيل !

لا يمكن أن تكون هذه هى النهاية !

مستحيل !

مستحيل !

هل بقى رفاقه مجمدين ، طوال أكثر مـن ثلاثـة عقود كاملـة ، حتى يلقوا مصرعهم على هذا النحو ؟!

لا يمكن أن يحدث هذا !!

لا يمكن أن يسمح بحدوثه !!

هناك حتمًا وسيلة ما لإنقاذهم ..

أية وسيلة ..

توتَّرت كل ذرة من كيانه ، والتهبت كل خلية فى عقله ، وهو يفكر ..

ويفكِّر ..

ويفكِّر ..

و ...

« ربما كان من الأفضل أن نتركهم يرحلون فى سلام .. »

نطقها (أيمن) فى توتر ، فهتف (نور) فى حدة :

ـ كلاً .. مستحيل !

استعاد (أيمن) طبيعة القائد الأعلى ، وهو يقول فى حزم :

ـ يؤسفنى أنه ليس قرارك الآن يا (نور) ؛ فـالموقف كلـه أصبح يخص إدارة المخـابرات التكنورقمية ، ومن واجبى ألا أترك الأمـور تسبح فى فراغ أبدى ..لا بد من اتخاذ قرارات ، قد لا ترضى الجميع ، ولكن ..

ولم يسمع (نور) باقى العبارة ..

لقد توقَّف ذهنه كله عند نقطة واحدة ..

الفراغ ..

هناك يكمن الحل ..

كيف لم ينتبه إلى هذا منذ البداية ؟!

كيف ؟!

كان (أيمن) يكمل عبارته ، عندما قاطعه مرة أخرى ، هاتفًا ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من تجاوز :

ـ ربما كانت هناك وسيلة ما .

صمت (أيمن) فى غضب حقيقى هذه المرة ، أسفر عن نفسه فى نبرات صوته ، وهو يقول فى حدة :

ـ علماؤنا درسوا كل الوسائل .

قال (نور) فى حزم عنيد :

ـ إنها وسيلة لا يمكن أن يتوصّل إليها علماؤكم .

انعقد حاجبا (أيمن) فى توتر ، وهو يسأله بمنتهى الحذر :

ـ أية وسيلة ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب بمنتهى الحزم :

ـ الغيبوبة .

وكان الجواب مفاجئًا ..

بكل المقاييس ..

★ ★ ★

لم يستطع (طارق) إخفاء دهشته ، وهو يواجه (نور) ، فى حجرة الحالات الطارئة فى المستشفى ، ولقد أدار عينيه فى كل الأجهزة المحيطة به ، قبل أن يغمغم :

ـ إذن ، فأنت جاد فى هذا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لست أظن الموقف يحتمل هزلاً .

هزّ (طارق) رأسه ، وقال :

ـ أمر عجيب !! هل تعلم أنه لا أحد يوافقك على ما تسعى إليه ؟

أجابه (نور) :

ـ لأنهم لا يفهمونه .

هزّ كتفيه هذه المرة ، قائلاً :

ـ أمر طبيعى .. الناس دومًا أعداء ما يجهلون .

قال (نور) حازمًا :

ـ لا ينبغى أن ينطبق هذا على العلماء .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، ينطبق أكثر ما ينطبق على العلمـاء ؛ فأنتَ تحدثُهم عن أمر يتنافى مع كل ما درسوه فى حياتهم .. بل وحتى مع قوانين الطبيعة نفسها ، فكيف تطلب منهم تقبُّل الأمر ؟

قال (نور) :

ـ يمكنهم اعتباره تجربة جديدة .

أجاب (طارق) فى سرعة :

ـ بغير أسس علمية ثابتة .

وتنهَّد فى قوة ، مضيفًا :

ـ إنك تحدثهم عن عضو آخر من الفريق ، يفترض أنـه قد لقى مصرعه منذ زمن طويل ، وضاع جسده فى نهر الزمن ذات يوم(*) ، وتحاول إقناعهم بأنه مازال على قيد الحياة ، بوسيلة لايمكن فهمها ، ولكن جسده تحوَّل مـن مـادة إلـى طاقـة ، ويحيا فى فراغ زمن لانهائى ، بل والأدهى أن علومه تفوق علومهم جميعًـا .. هل تـدرك كم قانونًا طبيعيًا تخرق ، بروايتك هذه ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ ولا قانونًا واحدًا .

التفت إليه فى دهشة ، فتابع فى حزم :

(★) راجع قصة (الزمن = صفر) ... المغامرة رقم (100) .

ـ ما دام هذا يحدث ، فهو ليس منافيًا لقوانين الطبيعة ، بـأى حال من الأحوال .. إنه فقط يخضـع لقوانين أخرى ، لـم تكشـف بعد .. قوانين تحتاج إلى طاقم علماء متفتح لدراستها ، وفهمهـا ، ووضع كل ما يناسبها .

أشار (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ هذا يستدعى رصدها أولاً ، وهو ما لم يفعله .

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ولكننى فعلته .

قال (طارق) فى إصرار :

ـ هم لم يفعلوه .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ ليس من الضـرورى أن يخـوض العـالم التجـربة بنفسـه ، ليقوم برصدها ودراستها .. يكفى أن يستمع إلى كل من خاضها .

قال (طارق) فى حذر :

ـ وماذا لو أنهم يعتبرونها مجرد هلوسة .

استدار إليه (نور) فى غضب ، فتابع متراجعًا :

ـ أو هذيان غيبوبة .

زفر (نور) فى توتر ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ ربما يدركون ، بعد فوات الأوان .

ثم اعتدل ، مضيفًا :

ـ والآن ، دعنا لا نضيع الوقت فى مناقشة هذا ، ولنبدأ العمـل فورًا .

أشار (طارق) إلى طاقم العلمـاء المحيط بالمكان ، فبدءوا عملهم على الأجهزة على الفور ، ورقد (نور) فوق ذلك الفراش الهوائـى ، و(طارق) يسأله فى قلق أخير :

ـ هل تعتقد أنك ستلتقى بـ (محمود) هذا ، فى حالـة الغيبوبـة الصناعية ؟!

أسبل (نور) جفنيه ، وهو يقول :

ـ لست واثقًا من هذا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكنها الوسيلة الوحيدة المتبقية .

تنهّد (طارق) ، وهزّ رأسه ، وهو يبتعد فى بطء ، فـى حين بدأت الأجهزة المحيطة بـ (نور) عملها ..

فى البداية ، راحت ترسل موجات ذات صوت مرتفع ..

ثم راح ذلك الصوت يخفت ..

ويخفت ..

ويخفت ..

ثم اختفى تمامًا ..

ولكن الموجات بقيت ..

وشعر (نور) بتثاقل فى جفنيه ، وبعقله يذوب ..

ويذوب ..

ويذوب ..

ثم اختفى كل شىء من حوله ..

لقد غاص فى تلك الغيبوبة الصناعية ..

ولا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يقود إليه هذا ..

لا أحد على الإطلاق ..

★ ★ ★

4ـ لقـــاء ..

فراغ رهيب يحيط بكل شىء ..

فراغ بلا حدود ..

وبلا نهاية ..

وعلى الرغم من أنها ليست أوَّل مرة يجد فيها نفسه هناك ، شعر (نور) بالتوتر ..

وفى عصبيته ، راح يتلفَّت حوله ..

أين (محمود) ؟!

أين ذهبت هذه المرة ؟!

أين ؟!

أين ؟!

كان يرغب فى الهتاف باسمه ، عسى أن يعثر عليه ، وسط ذلك الفراغ الرهيب ، الذى بدا أشبه بضباب ممتد ، حتى امتداد البصر ، إلا أن صوتًا لم يخرج من حلقه ..

إنه فراغ ..

والصوت لا ينتقل عبر الفراغ !

كيف يمكن أن يجده إذن ؟!

كيف ؟!

ليست هناك وسيلة سوى العقل ..

التخاطب من عقل إلى عقل ..

وبكل إرادته ، اعتصر (نور) ذهنه وعقله ، ليهتف من أعمق أعماقه ، دون صوت :

ـ أين أنت يا (محمود) ؟! إننى أحتاج إليك .. كلنا نحتاج إليك .

كرَّرها مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ولكن الفراغ بقى كما هو ..

أبديًا ..

سرمديًا ..

خاويًا ..

وهنا ، بدأ اليأس يتسلَّل إلى نفسه ..

لقد خسر وسيلة إنقاذ رفاقه ..

وسيلتهم الوحيدة ..

« أنا هنا يا (نور) .. »

انتفض جسده كله ، عندما استقبل عقله رسالة (محمود) ، وهتف فى لهفة :

ـ أين أنت يا صديقى ؟!

بدا له جزء من الضباب يتكثَّف ، ويتماسك ، ويقترب منه فى بطء ، وملامحه تتضح رويدًا رويدًا ..

نعم .. إنه (محمود) ..

« أين كنت ؟! »

لم يدر أهتف بالكلمة عبر حلقه ، أم عبر عقله ؟! إلا أن هذا لا يهم ما دام (محمود) قد سمعها ، وأجاب فى هدوء :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم بذلت من جهد ؛ حتى يتم هذا اللقاء يا صديقى ؛ فالعقل فى غيبوبته الصناعية ، يختلف عنه ، عندما تحكمه الطبيعة .

قال (نور) فى ارتياح :

ـ المهم أنك هنا .

تنهَّد (محمود) ، قائلاً :

ـ لن يمكننى البقاء طويلاً للأسف .

لم يكن هناك مجال لإضاعة لحظة واحدة إذن ؛ لذا فقد سأله (نور) فى سرعة :

ـ هل أدركت ما أصاب الرفاق ؟!

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد درست الموقف كله .

وبمنتهى اللهفة ، سأله (نور) :

ـ كيف يتجاوزون هذا يا صديقى ؟! كيف ؟!

هزَّ (محمود) رأسه ، وأجاب فى هدوء :

ـ العلماء الذين درسوا (الزوريوم) ، تعاملوا معه باعتباره معدنًا حيويًا يا صديقى ، وهنا يكمن الخطأ فى الحسابات كلها .

سأله (نور) فى دهشة :

ـ أو ليس كذلك ؟!

هزَّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

ـ (الزوريوم) شىء سيعجز علماء هذا الزمن عن فهمه .. إنه ليس أحد العناصر المعروفة ، وليس معدنًا ، بأى حال من الأحوال ، والتكنولوجيا المستخدمة فى صنعه ، تفوق ما يمكنهم التوصُّل إليه ، بعد قرن من الآن ، وهو فى طبيعته مادة حيوية ، ذات لمحة معدنية .

قال (نور) فى دهشة :

ـ ولكنه يتشكَّل فى أية هيئة يشاء .

أجابه (محمود) :

ـ إنها سمة إضافية ، ولكن سمته الأساسية هى أنه مصدر حيوى للطاقة وتبادل الغذاء .. مصدر شكَّلت الطبيعة جزءًا منه ، وأضاف شعب (جروندا) الجزء الآخر .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أتعنى أنهم هنا يتعاملون معه بأسلوب خاطئ .

أجابه (محمود) فى سرعة :

ـ بل من منظور خاطئ ، وهذا أكثر إفسادًا للأمر ، فالمفترض أن يستعينوا ، ليس بعلماء فى الفيزياء ، وإنما بعلماء فى البيولوجيا الحيوية .

غمغم (نور) ، وقد تضاعفت دهشته :

ـ بيولوجيا حيوية ؟!

بدأت هيئة (محمود) تستعيد تلك الصورة الضبابية ، وصوته يخفت تدريجيًا ، وكأنما لم يعد قادرًا على مواصلة الاتصال ، وهو يجيب :

ـ نعم يا (نور) .. دعهم يتعاملوا معه ، وكأنهم يتعاملون مع السائل الـ ...

تلاشى الصوت أو كاد ، قبل أن يتم عبارته ، فهتف (نور) فى توتر بالغ :

ـ أى سائل يا (محمود) .. أى سائل ؟!

ولكن صورة (محمود) تلاشت تمامًا ، وسط ضباب كثيف ، غمر الفراغ كله ، فصرخ (نور) مكررًا :

ـ أى سائل ؟

وهنا ، سمع عدة أصوات متداخلة ممتزجة ، أرهف سمعه وسطها جيدًا ، فالتقط هتافًا واحدًا ..

« جدى .. هل استيقظت ؟!.. »

فتح عينيه دفعة واحدة ، وحدَّق فى وجه (طارق) ، الذى ينحنى نحوه ، قائلاً فى قلق :

ـ رباه ! لقد تصورت لحظة أن ...

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ لماذا أيقظتنى ؟!

أجابه (طارق) فى اضطراب :

ـ كان هذا حتميًا .. لقد تصاعدت نبضات قلبك ، فى الدقيقة الأخيرة ، حتى تجاوزت مائتى الدقة فى الدقيقة الواحدة .. كان لابد من إيقاظك ، قبل أن يقتلك الانفعال ، فى كابوس ما[*] ..

هتف (نور) :

ـ ولكننى كنت على وشك معرفة الحل .

ثم أمسك سترة (طارق) ، مستطردًا فى انفعال :

ـ أريد العودة إلى تلك الغيبوبة .. فورًا .

هتف (طارق) ، وهو يخلّص نفسه منه :

ـ مستحيل !

صاح به (نور) غاضبًا :

ـ ولماذا مستحيل ؟

أجابه (طارق) فى توتر :

ـ التصريح الذى لدينا بإجراء التجربة مرة واحدة فقط .

(★) حقيقة علمية : يؤكد العلماء أن الأجساد البشرية تستجيب للانفعالات فى الأحلام ، على النحو نفسه ، الذى تستجيب به فى عالم الواقع ، بمعنى أنه لو حلم شخص ما ، أنه يسقط من ارتفاع كبير ، فهو يستيقظ حتمًا ، قبل أن يرتطم بالأرض فى الحلم ، فلو لم يفعل ، سيحيا جسده النائم نفس مشاعر الارتطام بالأرض ، ويلقى مصرعه نائمًا .

صاح (نور) فى حدة :

ـ لابد من مرة ثانية يا (طارق) .. لابد .

ابتعد (طارق) عن أصابعه ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ هناك ما ينبغى أن تعرفه أوّلاً .

خفق قلب (نور) فى عنف ، وهو يسأله :

ـ وما هو ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ لقد نفد الغذاء منهم .

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ..

فقد كان هذا القول يعنى مصرع رفاقه ..

مصرعهم جميعًا ..

وأمام عينيه ..

★ ★ ★

« المعدّلات الحيوية كلها تنهار .. »

نطق كبير العلماء العبارة ، فى توتر بـالغ ، وهو يتـابع النتـائج ، على شاشات الرصد المختلفة ، قبل أن يضيف :

ـ الجهاز التنفسى انهار قطيًا ، والرئة الصناعية تعمل بكل طاقتها ، والدورة الدموية فى انهيار مستمر ، وخلايا المخ تعانى من قصور مخيف فى الأكسجين .

سأله القائد الأعلى ، فى قلق بالغ :

ـ ألا يمكن حتى العمل على إبطاء التدهور ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسى وأسف :

ـ هذا مستحيل للأسف ؛ فالجسد البشرى قوى للغاية ، يمكنه أن يقاوم لفترات طويلة ، ولكن ما أن تبدأ مقاومته فى الانهيار ، حتـى يصبح من المستحيل إيقاف التدهور ، مهما بذلنا من جهد(*) ..

سأله القائد الأعلى ، وتوتره يتضاعف :

ـ وماذا لو قمنا بتجميدهم الآن ؟!

زفر كبير العلماء ، مجيبًا :

ـ لقد حاولنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

ـ وفشلنا .

حدّق القائد الأعلى فيه مستنكرًا ، فتابع مفسرًا :

(★) حقيقة طبية .

- تلك الفقاعة من (الزوريوم) ، المحيطة بهم ، تقاوم التجمُّد المفاجئ ، الذى لابد منه ، لوضع أجسادهم فى الحالة المطلوبة ، ولا يمكننا استخدام التجميد التدريجى ، وإلا تخثر الدم فى العروق ، فمشكلة البشر ، أنهم من ذوى الدم الحار ، وليسوا من ذوات الدم البارد ، مثل الزواحف(*) ..

حمل صوت القائد الأعلى كل ألمه ، وهو يقول :

- أيعنى هذا أنه لا فائدة ؟!

زفر كبير العلماء مرة أخرى ، وهو يجيب :

- للأسف !

لم تكد الكلمة تتجاوز شفتيه ، حتى اندفع (نور) داخل قاعة الفحص ، وهو يهتف فى انفعال :

- كيف هم ؟!

استقبله القائد الأعلى ، محاولاً تهدئته ، وهو يقول :

(★) ذوى الدم الحار : مصطلح يطلق على الكائنات ، التى تحافظ دماؤها على درجة حرارة ثابتة ، بغض النظر عن درجات الحرارة أو البرودة ، فى المناخ الخارجى ، وهى ثابتة عند البشر ، فى درجة (37.2°م) ، أما ذوات الدم البارد ، فهى الكائنات التى تتغيَّر درجة حرارة دمائها ، مع تغيُّر درجة حرارة أجسادها الخارجية ، وفى تلك الكائنات ، يمكن تجميد الدم ، وإعادة تسييله ، دون أن يفقد خواصه أو وظيفته

- موقفهم كله مازال مجهولاً يا (نور) ، باستثناء الدكتور (أنور) ، الذى يلفظ أنفاسه الأخيرة بالفعل ، ونحن عاجزون عن إنقاذه .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع أزيز متصل ، من أحد الأجهزة ، وانبعث ذلك الصوت الناعم الهادئ الآلى ، يقول :

- الدورة الدموية انهارت تمامًا ، وكذلك الجهاز التنفسى ، وخلايا المخ تنهار بسرعة مليون خلية فى الثانية الواحدة .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وراح قلبه يخفق بسرعة مخيفة ، وهو يردِّد :

- رباه ! رباه !

ربَّت (أيمن) على كتفه ، هامسًا فى مرارة :

- إنها معدَّلات الدكتور (أنور) وحده ، أما الباقون ، فمازالوا ..

قاطعه (نور) فى عصبية :

- سيلحقون به .. لو لم نتوصَّل إلى حل ، سيلحقون به حتمًا .

تبادل القائد الأعلى نظرة متوترة مع الدكتور (راشد) ، الذى أشاح بوجهه ؛ ليخفى انفعالاته ، فى حين تابع (نور) فى توتر بالغ :

- (محمود) حاول أن يخبرنى ، ولكن الاتصال لم يكتمل .. لو فهمت ما أشار إليه فى حديثنا ، فربما ..

قاطعه الدكتور (راشد) فى عصبية :

ـ قصة زميلكم الراحل هذه ، لا يمكن أن تكون مقياسًا لتحركاتنا أيها المقدَّم .. لا يمكننا أن نبنى علومنا على هذيان ، صنعته غيبوبة ما ..

تجاهل (نور) هذه المقاطعة تمامًا ، وقال وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ لقد أخبرنى أن (الزوريوم) ليس معدنًا ، وأن ما نحتاج إليه عالم فى البيولوجيا الحيوية ، وليس عالمًا فيزيائيًا .. وقال : إنه يشبه سائلًا ما ...

هتف الدكتور (راشد) فى غضب :

ـ مهما قلت أو فعلت ، مهما بلغت شهرتك ، فعالم الأرواح الذى تتحدث عنه هذا ، أمر غير معترف به ، فى أى مضمار علمى ، ولن تجد عالمًا واحدًا ، يمكن حتى أن يستمع إليك بشأنه .

لم يبد حتى أن (نور) قد سمعه ..

لقد انفصل تمامًا عن كل ما حوله ، وهو يعتصر عقله بكل قوته ، محاولًا استرجاع كل حرف نطق به (محمود) ..

وفهم كل جملة ...

لو أن (الزوريوم) سائل حيوى ، وليس معدنًا حيويًا ، فأى سائل يمكن أن يكون ؟!

أى سائل هذا ، الذى يحمل الطاقة والغذاء ، ويمكن أن يحيط بالأجساد ، ويغمر الأعضاء ، ولكنها تواصل عملها ، وتحصل على طاقتها ، دون الحاجة حتى للأكسجين ؟!

أى سائل هذا ؟!

أى سائل ؟!

لابد وأن يتوصَّل إلى الحل ، قبل أن تنهار المعدَّلات الحيوية لرفاقه كلهم ..

لا بد ..

لا بد ..

« المعدَّلات الحيوية انهارت كلها تمامًا .. »

ارتفع ذلك الصوت الآلى الناعم الهادئ بالعبارة ، وأضاف فى نمط يخلو من أى انفعال :

ـ يمكن اعتبار العينة رقم خمسة متوفاة رسميًا .

هوى قلب (نور) بين قدميه مع العبارة ، وحدَّق فى الشاشة الكبيرة ، التى تحمل صور رفاقه ، ورأى صورة الدكتور (أنور) تختفى من بينهم ، فصرخ فى أعمق أعماقه :

ـ أى سائل هذا ؟!.. أى سائل ؟!

تمنى لحظتها لو أنه لم يولد قط ، حتى لا يشهد ذلك اليوم الرهيب ، أو أن ...

ولكن مهلاً ..

تمنى لو لم يولد ..

الميلاد ..

وفترة الحمل التى تسبقه ..

والجنين يسبح فى سائل ، يمنحه كل ما يحتاج إليه ، من غذاء وأكسجين وطاقة ..

بالضبط كما يفعل (الزوريوم) برفاقه الآن ..

وهذا يعنى أنه ..

« السائل الأمنيوسى .. »

صرخ (نور) بالكلمة ، بكل انفعال الدنيا ، فحدَّق الجميع فيه بذهول ، وغمغم القائد الأعلى :

ـ سائل مـاذا ؟!

هتف (نور) :

ـ هذا ما ينبغى أن نتعامل معـه بـالضبط .. السـائل الجنينـى .. ذلك السائل الذى يملأ رحم الأم ، فى أشهر الحمـل ، ويسبح فيـه الجنين طوال الوقت .. السائل الذى يغمـر كل أجهزتـه ، ويمنحـه

الطاقة والأكسجين حتى يولـد .. هكـذا ينبغـى أن نتعـامل مـع (الزوريوم) .. كسائل حيوى .. كسائل الرحم .

كان أمرًا مذهلاً ، جعل العلماء يحدّقـون فـى بعضهـم البعض ، قبل أن يغمغم الدكتور (راشد) مضطربًا :

ـ أتعنى أن ذلك (الزوريوم) ..

قاطعه (نور) فى انفعال :

ـ ليس معدنًا سائلاً .. إنه سائل حيوى .. إننا نحتاج إلى خبير فى البيولوجيا الحيوية ، وليس فى الفيزياء .. أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا .

حدَّق الكل فيه ذاهلين ، وعلى رأسهم الدكتور (راشد) ، فصاح فيهم القائد الأعلى فى عصبية :

ـ ماذا تنتظرون بالله عليكم ؟!

وهنا ، تحوَّل مركز الأبحاث كله إلى شعلة من النشاط ..

شعلة بدأت تتعامل مع الموقف كله ، من منظور جديد ..

منظور وضعه عضو فريق ..

راحل ..

* * *

موجة هائلة من الذهول ، عمّت مركز الأبحاث كله ..

موجة لم يشهدها ذلك العصر المستقبلى قط ..

موجة ترتبط دومًا بمولد قانون جديد ..

أو علم جديد ..

فعلى الرغم من معارضتهم جميعًا ، حطّم (نور) كل القواعد ، وهزم كل العلوم التى درسوها وحفظوها ، فى عمرهم كله ..

أو إنه أتى بجديد ..

جديد مذهل ..

حتى بالنسبة للعلماء ..

وبكل ذهوله ، هتف الدكتور (راشد) ، مواجهًا (نـور) ، فى حجرة القائد الأعلى شخصيًا :

ـ مدهش أيها المقدّم .. بل مذهل .. ما قلته كان صحيحًا بنسبة مائة فى المائة .. لقد تغيّر كل شىء تمامًا ، عندما بدأنا نتعامل مع (الزوريوم) باعتباره سائلاً حيويًا .. كل المعطيات اتخذت مسارًا جديدًا ، وكل النتائج والأبحاث اختلفت تمامًا .. حتى سحب السائل من رفاقك ، بات أكثر يسرًا وسهولة .. بل وأكثر أمانًا أيضًا .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ وهل قمتم بسحبه بالفعل ؟!

أشار الدكتور (راشد) بسبّابته ، مجيبًا فى حماس :

ـ على الفور .

وهزّ رأسه فى قوة ، قبل أن يتابع :

ـ ومعرفتنا أننا نتعامل مع سائل حيوى ، شبيه بالسائل الجنينـى ، ساعدتنا كثيرًا على حسم الأمر ، والتعامل معه بجرأة أكبر ، فكما قدّر علماؤنا عندئذ ، سحب السائل لن يؤدى إلى كارثة ، بل سيدفع الجسد إلى بدء التعامل مع الجو الخارجى ، تمامًا مثلما يحدث للجنين ، بعد خروجه من الرحم ، عندما نفرغ صدره من السائل ، فيبدأ فى التنفس ، ويطلق صرخته الأولى ، التى تعبّر عن انتقاله من عالم الرحم ، حيث يسبح فى السائل ، إلى الهواء الطلق .

سأله القائد الأعلى :

ـ أهذا ما حدث بالفعل ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ أجسادهم قاومت الموقف لحظات قصار ، ثم استعادت بسرعة قدرتها على العيش فى الهواء العادى .. لقد عادوا إلى آدميتهم .. حمدًا لله .

أضاف الدكتور (راشد) فى سرعة :

ـ ولكنهم لم يعودوا إلى وعيهم بعد .

تمتم (نور) فى ارتياح شديد :

ـ إنها مسألة وقت .

أجابه الدكتور (راشد) :

ـ صدقت .

ثم أضاف ، مستعيدًا حماسه :

ـ ولكننا الآن نمدهم بالغذاء والطاقة ، عبر وسائلنا المعروفة ، ونعمل على إفاقتهم تدريجيًا ، وأظننا سنحقق هذا خلال يومين على الأكثر .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده متمتمًا :

ـ عظيم .. عظيم .

أكمل الدكتور (راشد) :

ـ الأهم أننا أخيرًا وضعنا أيدينا ، على أول طريق فهم (الزوريوم) ، ولن يمضى عام واحد ، حتى تكون ، بوساطته ، قد قفزنا قرنًا كاملاً ، فى سلم التطوّر أو لن تبلغنا أية أمة أخرى ... سيمكننا أن نسيطر على كل الدول .. بل على العالم كله .

مطّ (نور) شفتيه فى امتعاض ، وأشاح بوجهه فى شىء من العصبية لاحظها القائد الأعلى ، فقال فى حزم :

ـ دعنا لا نتعجل الأمور يا رجل .

هتف الدكتور (راشد) :

ـ صدقت يا سيّدى ، فلنترك التطوّر لزمنه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف فى لهفة :

ـ ولكن لدينا فرصة لتحقيق نصر علمى آخر .

تمتم (نور) :

ـ وأيضًا للسيطرة على العالم ؟!

لم ينتبه إلى ما فى هذا من سخرية مريرة ، فأجاب فى حزم :

ـ من يدرى ، ربما يمنحنا قوة أكبر .

سأله القائد الأعلى فى حزم :

ـ ما الذى ترغب فى تحقيقه بالضبط ؟!

أجاب فى لهفة :

ـ القانون الجديد .

تطلَّع إليه (نور) و(أيمن) فى تساؤل ، فأضاف بشهوة عجيبة :

ـ سنعيد زميلهم القديم ، إلى عالمنا المادى .

ووثب قلب (نور) بين ضلوعه ، من فرط المفاجأة ..

وثب فى عنف .

★ ★ ★

5ـ فــراغ ..

مرة أخرى ، امتدّ ذلك الفراغ إلى ما لا نهاية ..

ومرة أخرى ، سبح فيه (نور) ..

وكما حدث فى المرة السابقة ، كان وحيدًا ..

تائهًا ..

ضائعًا ..

وفى هذه المرة أيضًا صرخ :

ـ (محمود) .. أحتاج إلى مقابلتك .

وصمت لحظة ثم أضاف :

ـ الأمر يخصك هذه المرة .

أتاه الجواب باهتًا بعيدًا :

ـ أعلم هذا يا (نور) .

اقترن الصوت بذلك التكوين الضبابى ، الذى راح يتشكَّل فى بطء شديد ، مجسمًا هيئة شبه بشرية ، فقال (نور) فى حماس :

ـ أنت تدرك مدى أهمية الأمر إذن .

بدأت ملامح ذلك الشكل الضبابى تتضح رويدًا رويدًا ، وصوته يتميَّز فى تدرُّج واضح ، وهو يقول :

ـ بل أدرك مدى عبثيّته .

صدم الجواب (نور) ، الذى غمغم :

ـ وما العبث فى هذا يا صديقى ؟! لقد حققنا إنجازًا مدهشًا ، على أى مقياس ، فكل علماء مركز الأبحاث يدركون الآن ، أن الاتصال بك ممكن عمليًا ، وهم يعدون أحدث تقنياتهم ، ليس لإحداثه فحسب ، ولكن للعمل على استعادتك أيضًا .

قال (محمود) ، وصوته يزداد وضوحًا مع صورته :

ـ يستعيدوننى على أية هيئة ؟!

أجابه (نور) فى حيرة :

ـ هيئتك هذه بالطبع .

بدا صوته حزينًا بائسًا ، وهو يقول :

ـ الهيئة التى ترانى عليها ، هى تلك التى تعيها ذاكرتك يا (نور) ، وليست الهيئة التى أنا عليها بالفعل .

سأله (نور) ، فى حذر قلق :

ـ وما هيئتك الآن ؟!

أجابه بمنتهى المرارة :

ـ لن يروق لك هذا يا صديقى .. لن يروق لك أبدًا .

لم يفهم (نور) ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، إلا أنه شعر بقلق شديد ، بشأن زميله ومصيره ، فقال :

ـ ولكن ما الذى سنخسره من المحاولة ؟!

أجابه (محمود) فى حدة :

ـ ربما لن تخسروا شيئًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى مرارة :

ـ ولكننى سأخسر الكثير .

هتف به (نور) :

ـ ما الذى ستخسره ؟!

بدا له (محمود) ، لأول مرة ، حذرًا متوترًا ، عصبيًا ، وهو يجيب :

ـ حاول أن تفهم موقفى يا (نور) .. عندما تهاوى جسدى المادى فى نهر الزمن ، لم يحتمل الصمود طويلًا ، وراح ينهار بسرعة ، ويتحوَّل من مادة إلى طاقة .. والآن ، لم يعد لجسدى وجود .. كل مادته تحوَّلت إلى طاقة صافية .. طاقة ذات قدرات هائلة لا محدودة .. طاقة تتجاوز حدود الزمن والمكان ، وتسبح فى فراغ زمنى لا نهائى ،

ملتهمة كل علوم ومعارف الدنيا ، بلا حدود أو موانع .. كل هـذه الطاقة ، تريدون أنتم إعادتها إلى جسد مادى !

غمغم (نور) :

ـ نريد أن نعيدك أنت يا صديقى .

هتف فى حدة :

ـ مستحيل ! أنتم واهمون يا (نور) .. المادة قد تتحـوّل إلـى طاقة ، ولكن العكس ليس صحيحًا .. لم يفلح العلم قط فى تحويل الطـاقة إلى مـادة .. فالمـادة تفنى ، ولكن الطاقة تبقى .. أحلامكم مستحيلة يا (نور) .. مستحيلة تمامًا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ليس تمامًا يا صديقى .

تطلّع إليه (محمود) بنظرة عصبية ، جعلته يتابع فى حماس :

ـ ربما تذكّرت كل شىء ، ولكنك نسيت أمرًا واحدًا .

سأله (محمود) فى حذر :

ـ وما هو ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ (الزوريوم) .

سأله (محمود) ، وقد بدأت لهجته تحمل لمحة عصبية :

ـ ماذا عنه ؟!

أجابه (نور) ، وصوته يخفت ، على نحو ما :

ـ (الزوريوم) سائل حيوى ، ولكنه معدّل على نحو مدهـش ؛ ليكتسب سمات المعادن السائلة ، والقدرة على التشكل فـى أيـة هيئة .

سـأله (محـمـود) ، وهـو يتحـوّل مـرة أخـرى إلـى الصـورة الضبابية :

ـ وماذا فى هذا ؟! ما الذى يمكن أن يفعلـه ذلـك (الزوريوم) يا (نور) ..

أراد (نور) أن يخبره ، ولكن شيئًا ما عقد لسانه ..

شيئًا ما ، أثقل كلماته ..

شيئًا عجيبًا ..

عجيبًا للغاية ..

أما (محمود) ، فقد راحت صورته تتلاشى ..

وتتلاشى ..

وتتلاشى ..

كل شىء حول (نور) تحوَّل إلى ضباب ..

ضباب كثيف ..

و ...

« أظنه لقاء ناجح .. »

اخترق صوت (طارق) حاجز الضباب ، وبدا عميقًا متوترًا ، وهو يضيف :

ـ لقد سجلنا ارتفاعًا ملحوظًا ، فى نشاطاتك المخية .

فتح (نور) عينيه ، فى بطء ، وقال فى توتر :

ـ ولكنكم أيقظتمونى قبل الأوان .

لم يعلِّق (طارق) على عبارته ، ولكن الدكتور (راشد) ظهر من خلفه ، وهو يقول فى انفعال :

ـ لم يكن من الممكن أن تبقى فى تلك الحالة الصناعية طويلاً أيها المقدم .. معدَّلاتك الحيوية كادت تنهار ، مع الضغط العنيف .. من الواضح أن جسدك يستنزف كل طاقته لإحداث الاتصال .

سأله (نور) فى إرهاق :

ـ وهل سجلتم كل شىء ؟!

أجابه فى حماس :

ـ بالطبع .

حاول (نور) أن ينهض ، وهو يتطلَّع إليه فى تساؤل ملهوف ، فابتسم متابعًا :

ـ ولقد تيقنا من قدرتنا على هذا .. نعم .. نستطيع إعادة زميلكم المفقود .

وخفق قلب (نور) بعنف ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

تراجع القائد الأعلى فى مقعده فى بطء ، وهو يتطلَّع إلى (طارق) مليًّا ، قبل أن يقول ، فى شىء من الحذر :

ـ إذن ، فما زال العلماء يرون أن هذا ممكن .

أجابه (طارق) ، فى شىء من الحماس :

ـ بالضبط يا سيِّدى .. علماؤنا درسوا الأمر بمنتهى الدقة ، وربطوه بكل أبحاثهم وتجاربهم حول ذلك (الزوريوم) ، ولقد اتفقوا جميعًا على أنهم قادرون على هذا .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ مدهش !

ثم أشار بيده ، مضيفًا :

ـ العلم تجاوز كل حدود العقل ، ويتجه الآن إلى صنع ما كنا نتصوره دومًا من المستحيلات .

شدّ (طارق) قامته ، وهو يقول :

ـ ما دام العلم يتوصّل إليه ، فهو ليس مستحيلاً يا سيّدى .. وسأستعير رأى جدى ، فى أن الأمر يكمن فى أننا نتوصل إلى قانون جديد ، من قوانين الطبيعة ، لم نكن ندركه من قبل ، وكان غيابه عن أذهاننا ، يجعل كل شىء يبدو بعيد المنال .

اعتدل القائد الأعلى ، يسأله فى اهتمام :

ـ بمناسبة الحديث عن المستحيلات العلمية .. ألم تحل لغز وجودك بعد ؟!

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بعد للأسف .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولكننى ما زلت هنا ، وهذا يعنى أن وجودى ما زال منطقيًا وممكنًا ، عبر مجرى الزمن ، حتى هذه اللحظة .

أشار القائد الأعلى بسبابته ، قائلاً فى حماس :

ـ مجرى الزمن .

وعاد يتراجع فى مقعده ، مضيفًا :

ـ هنا يكمن الحل .

تساءل (طارق) فى حذر :

ـ حل ماذا ؟!

تابع القائد الأعلى فى حماس :

ـ زميلهم الضائع ما زال مجرد طاقة صافية هناك .. فى مجرى الزمن .. طاقة يمكنها أن تكسر حاجزى الزمان والمكان ، وفقًا لتقرير (نور) نفسه .. أو بمعنى أدق ، طاقة يمكنها معرفة ما استغلق علينا ، ورؤية كل ما عمينا عنه .

قال (طارق) فى انفعال :

ـ هل تقصد أنه قادر على ..

قاطعه القائد الأعلى :

ـ معرفة سر وجودك .. بالضبط .. إنها أفضل وسيلة ، لكشف واحد من الألغاز العجيبة ، التى ارتبطت بأسرتك كلها .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا صحيح .

أجابه القائد الأعلى فى حماس أكثر :

ـ وكل ما يحتاج إليه الأمر ، غيبوبة صناعية جديدة ، ولقاء أخير بين جدك وزميله السابق ، قبل أن ننتزع هذا الأخير من فراغه الزمنى ، ونعود به إلى عالمنا المحدود .

ولم يعلّق (طارق) هذه المرة ..

انعقدت الكلمات فى حلقه ، وعلى لسانه ، من فرط انفعاله ..

فهذه قد تكون بالفعل ، وسيلته ؛ لمعرفة سر وجوده ..

وسيلته الوحيدة ..

★ ★ ★

« لا أحد يمكنه تحديد الأسباب أيها المقدم .. »

نطق الدكتور (راشد) العبارة فى خفوت ، وهو يتطلّع مع (نور) إلى أجساد أفراد الفريق ، الذين يرقدون ساكنين ، على تلك الأسرة الهوائية ، فى قسم الإنعاش والحالات الحرجة ..

وفى قلق ولوعة ، غمغم (نور) :

ـ ولكن لماذا لا يستعيدون وعيهم ؟! لقد سحبنا كل (الزوريوم) من أجسادهم وأدمغتهم ، وكل الأجهزة تشير إلى انتظام معدلاتهم الحيوية ، فلماذا لا يمكننا استعادتهم ؟! لماذا ؟!

هزّ الدكتور (راشد) رأسه ، قائلاً :

ـ يبقى سؤالك بلا جواب ، فى الوقت الحالى ، ولكن الأمور مستقرة على أية حال ، وفى كثير من الحالات ، يستعيد مثل هؤلاء وعيهم بغتةً ، دون أسباب واضحة .

بدا صوت (نور) حزينًا مريرًا ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر ، كم أشتاق إليهم .

ربّت الدكتور (راشد) على كتفه ، قائلاً فى إشفاق متعاطف :

ـ ربما يمكننى تصوُّر هذا .

وقاوم غصة فى حلقه ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن من يدرى ؟! ربما استعادوا وعيهم ، بعد أن نستعيد زميلكم المفقود ، فيلتئم شمل الفريق كله مرة أخرى .. ربما .

تطلّع إليه (نور) ، فى صمت حزين مرير ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ مازلت أتساءل : هل سيمكننا استعادته بالفعل ؟!

التقط الدكتور (راشد) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ حساباتنا كلها تقول إن هذا ممكن .. صحيح أنه لن يكون (محمود) نفسه ، الذى عرفتموه من قبل ، ولكنه سيكون نسخة طبق الأصل منه .. نسخة تحمل نفس مشاعره وذاكرته .

غمغم (نور) :

ـ ما زلت أشك فى هذا .

ربّت الدكتور (راشد) على كتفه مرة أخرى ، وقال :

ـ سأشرح لك الأمر مرة أخرى ، لعلك تستطيع استيعابه هذه المرة .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ فى المرحلة الأولى ، سنعمل على رصد طاقة زميلكم ، واحتوائها داخل أحد أجهزتنا ؛ لنعيده من فراغه الزمنى ، وهذه ليست بالتكنولوجيا شديدة التطوّر ، وإنما تكنولوجيا احتواء طاقة فحسب ، ولكن هذا لن يعيده إليكم فعليًا ، إلا بعد أن نعيد تكوينه المادى .

غمغم (نور) فى توتر :

ـ ما زلت أعتقد أن إعادة تكوين المادة أمر مستحيل .

أشار الدكتور (راشد) بيده ، قائلاً :

ـ ليس فى وجود (الزوريوم) .

وابتسم فى زهو وارتياح ، وهو يضيف :

ـ (الزوريوم) سائل حيوى ، له قدرة مدهشة على التشكُّل ، فى أية هيئة يشاء ، وهذا يعنى أنه يستطيع تكوين صورة ، أو نسخة طبق الأصل ، من زميلكم (محمود) ، عبر كل ما لدينا من أفلام وتسجيلات ، وصور هولوجرامية له ..

تساءل (نور) :

ـ أتعنى مثل شخص آلى ؟!

هزّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بالمعنى الحرفى ، ولكنه أشبه بما يسمونه (السيبورج) ، وهو تكوين شبه آلى ، تدخل فى صنعه أنسجة حية ، وتلك الأنسجة ، التى نتحدَّث عنها ، وهى أنسجة زميلكم (محمود) فعليًّا .

أطلَّت نظرة متسائلة متشكِّكة ، من عينى (نور) ، فتابع الدكتور (راشد) فى اهتمام :

ـ إنها عينة الأنسجة الخاصة به ، التى كانوا يحتفظون بها ، فى سجل الحمض النووى ، للعاملين بالمخابرات العلمية .. لقد حصلنا عليها ، وقمنا بتنميتها فى وسط صناعى ، لنصنع منها كمية أنسجة كافية .

وعاد يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ باختصار ، ستكون لديكم فى النهاية نسخة شبه بشرية ، هى مزيج من (الزوريوم) والنسيج الحى ، ولكنها تبدو ، وتتحرك ، وتفكر ، تمامًا مثل زميلكم (محمود) ، حتى أنكم أنتم أنفسكم لن يمكنكم رصد الفارق .

ظلَّ (نور) يحدِّق فيه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ هذا يبدو أشبه بالحلم .

تنهَّد الدكتور (راشد) ، وابتسم ، قائلاً :

ـ هكذا العلم .

ثم هزَّ كتفيه ، وأضاف :

ـ فى عصر آخر ، كانوا سيتهمون من يفعل هذا منا بالكفر والإلحاد .

غمغم (نور) :

ـ فى كل عصر ، تجد حتمًا من يهاجم العلم ، باسم الدين ، ومن يتعامل مع التطور ، باعتباره خرقًا لقوانين الخالق (عزَّ وجلَّ) ، على الرغم من أن أبسط قواعد الإيمان ، هى أن نثق فى قدرة الله (سبحانه وتعالى) ، وفى أنه ما من مخلوق ، يمكن حتى أن يقترب منها ، فما بالك بخرقها ، ولابد وأن نؤمن أيضًا ، بأنه مادام الشىء ممكنًا ، فهو ممكن بإرادته وحده (سبحانه) ، وإلا لما تحقق ، حتى لو اجتمع الكون كله عليه .

غمغم الدكتور (راشد) :

ـ صدقت أيها المقدَّم .. فالدين أمرنا أن نطلب العلم ، ولو فى (الصين) ، وأن نطلبه من المهد إلى اللحد .

قال (نور) فى آسف :

ـ ولو أطعنا هذا ، لما تفوَّق علينا الغرب ، فى مرحلة من مراحل التاريخ .

كان يمكن أن يستمر الحوار بينهما طويلاً ، حول النقطة نفسها ، لولا أن ظهر (طارق) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ـ جدى .

لم يكن من السهل أن يستوعب الدكتور (راشد) النداء ، مع ما يبدو من فارق ضئيل فى العمر ، بين (نور) و(طارق) ، فانعقد حاجباه فى شدة ، فى حين استقبل (نور) الأمر فى بساطة ، وهو يسأل :

ـ ماذا هناك يا (طارق) ؟!

انتحى به (طارق) جانبًا ، وهو يقول :

ـ إننى أحتاج إليك .

هتف (نور) فى حماس :

ـ وأنا رهن إشارتك .

أجابه (طارق) فى احترام :

ـ عفوًا يا جدى ، ولكن القائد الأعلى نبهنى إلى نقطة ، لست أدرى كيف لم أنتبه إليها من قبل .

استمع إليه (نور) فى اهتمام ، وهو يتابع فى توتر :

ـ فوفقًا للظروف الحالية ، ربما كنت آخر أمل لى ، فى معرفة سر وجودى ، الذى يتعارض فعليًا مع مجرى الزمن الطبيعى .

قال (نور) فى حزم :

ـ اسمع يا (طارق) ، مادمت موجودًا ، فهذا يعنى أن وجودك لا يتعارض مع مجرى الزمن الطبيعى ، بأى حال من الأحوال .. كل ما فى الأمر هو أننا لم نفهم الأمر بعد ، أو لم ندرك الحكمة منه ؛ لأن عقولنا قاصرة عن هذا .

شدّ (طارق) قامته ، وهو يقول :

ـ وهذا ما أتيتك من أجله يا جدى ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

ـ أن أفهم .

نطقها بانفعال جارف ، جعل (نور) يتطلّع إليه طويلاً فى صمت ، قبل أن يربّت على كتفه ، ويقول فى حزم :

ـ سأبذل كل ما يتطلبه الأمر من جهد .

وكان هذا إيذانًا ببدء فصل جديد ، من حياة (نور) ..

حياته ، التى صارت أشبه بأسطورة ..

أسطورة حية ..

ومستقبلية ..

★ ★ ★

« مستحيل ! »

هتف الدكتور (راشد) بالكلمة ، فى غضب مستنكر ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ إننا ننشد نصرًا علميًا ، لا عبثًا بلا طائل .. هل تدرك كم رجل يعمل ؛ لوضعك فى غيبوبة صناعية آمنة أيها المقدّم ؟! هل تتصوّر أننا سنفعل هذا ، فقط لأن حفيدك يبحث عن سر وجوده ؟! من منا يعلم سر وجوده فى هذه الحياة ؟! من منا يعلم ما الذى يدّخره له القدر ، أو لأى هدف وُلِدَ ؟!

قال (نور) فى صرامة :

ـ إننا لانتحدث عن ذات نفسية ، يحتاج شخص ما إلى دعمها ، فى أعماق شخصيته ، أو عقله الباطن .. إننا نتحدث عن حياة رجل .. وهذا الرجل يتصادف أنه حفيدى ، وأن كلينا قد تجاوز النمط المألوف ، فى مسار العمر الطبيعى .. وما تحاول تجاهله ، هو أنه لو لم يعرف سر وجوده ، فقد يهدد هذا ذلك الوجود كله بالفناء .

قال الدكتور (راشد) فى عصبية :

ـ إنه لن يتلاشى من الوجود ، لمجرد أن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ بل سيفعل .

حدّق الدكتور (راشد) فى وجهه مستنكرًا ، فتابع فى صرامة أكثر :

ـ ابنتى ، التى ترقد غائبة عن الوعى هنا ، هى أمه ، وفقًا لما تؤكده كل فحوص الحمض النووى المتقدمة ، ولكن المشكلة أنه ، وحتى لحظة اختفائنا عن زمننا ، لم تكن قد أنجبته بعد ،

مما يضعنا أمام لغز ضخم .. فكيف جاء هو إلى الوجود ، من أم لم تنجبه أبدًا ؟! كل علمائك لن يمكنهم حل هذا اللغز الرهيب .

ثم اعتدل ، وشدّ قامته ، مضيفًا فى حزم :

ـ ولكن ربما كانت لدى وسيلة لحله .

غمغم الدكتور (راشد) :

ـ غيبوبة جديدة ؟!

أجابه (نور) :

ـ لقاء أخير مع (محمود) ، فى مجرى الزمن .. لقاء قد يكشف ما لايمكننا التوصل إليه من أسرار .. لقاء قد يحسم سر وجود (طارق) .

وصمت لحظة ، ثم غمغم فى تأثر شديد :

ـ حفيدى .

تطلّع إليه الدكتور (راشد) طويلاً ، ثم لم يلبث أن ربّت على كتفه ، قائلاً فى خفوت مشفق :

ـ فليكن أيها المقدّم .. سنفعلها للمرة الأخيرة .

نطقها وهو يعنى كل حرف منها ..

كانت بالفعل المرة الأخيرة ..

ولكن من مفهوم لم يخطر ببال (نور) ..

لم يخطر بباله أبدًا .

★ ★ ★

6ـ مـرة أخيـرة ..

« نحن على أتم الاستعداد لبدء التجربة .. »

نطق أحد العلمـاء العبارة فى انفعال شديد ، وهو يقف إلى جوار نسخة نصف آلية ونصف بشرية ، مصنوعة من مزيج من (الزوريوم) ، مع خلايا (محمود) التي تمت تنميتها ، والتى تبدو أشبه بجسد بشرى يرقد بلا حراك ، فتطلع الدكتور (راشد) إليه ، وإلى ذلك الجسم نصف الآلى ، وغمغم فى توتر ، لم يستطع كتمانه :

ـ أشعر أننا نقدم على أمر رهيب .

أجابه العالم فى حماس :

ـ بل نحن على شفا انتصار علمى على كـل المستويات ، فكل ما ينقصنا هو نقل طاقة عضو الفريق ، إلى ذلك (السيبورج) (★) ، وكل ما صنعناه حتى الآن ، هو مجرد تطبيقات لنظريات علميـة ، موضوعة منذ ثمانينيات القرن الماضى ، ولقد ساعدنا (الزوريوم) على تفعيلها فحسب ، وما تراه أمامك هو مجرد شخص آلى ، مهما بدا من مظهره الخارجى ، ويمكننا أن ندس فيه محركًا قويًّا ، مع نظـام كمبيوتر متطورٍ ، ليصبح أشبه بالبشر ، خارجيًا على الأقل ، ولكنه لن يمتلك مشاعر البشر ، ولاقدرتهم على التفكير

(★) السيبورج : فكرة علمية ، تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لوضعها موضع التنفيذ ، منذ ثمانينيات القرن العشرين ، وهى تعتمد على إنتاج شخص آلى ، تدخل فى تكوينه خلايا حية ، بحيث يشبه البشر خارجيًا ، ويمتلك ذكاءً صناعيًا بقوة أجهزة الكمبيوتر .

والتدبير ، ودراسة المواقف ، واتخاذ القرارات .. باختصار ، يمكننا أن نضع صورة مشوّهة للحركة الذكية ، ولكن لو نجحنا فى احتواء طاقة ذلك الزميل ، الضائع فى مجرى الزمن ، داخل هذا التكوين ، فستمده بما يحتاج إليه ، ونقفز بالعلم ألف عام إلى الأمام .

تنهَّد الدكتور (راشد) فى توتر ، وقال :

ـ ما زال بعض أفراد فريقنا يرون أن هذا مخالف للإرادة الإلهية .

هزَّ العالم رأسه فى قوة ، وقال :

ـ هذا ما قالوه قديمًا ، مع منشأ جراحات التجميل ، وابتكار فكرة أطفال الأنابيب ، والاستنساخ ، وحتى مع آلات التصوير الرقمية ، فى الهواتف المحمولة .. محاربة العالم باسم الدين ستظل دومًا صراعًا يتحتم علينا أن نخوضه ، حتى نصعد فى درجات العلم .

وافقه الدكتور (راشد) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ إننى أتفق معك فى هذا ، ولكننى أثق أيضًا فى قاعدة أخرى ، صنعها إيمانى بالله (سبحانه وتعالى) ، بأكثر مما قادنى إليها إيمانى بالعلم .

استمع إليه الرجل فى اهتمام وانتباه ، وهو يتابع فى حسم :

ـ الله (سبحانه وتعالى) خلق الإنسان على شاكلته ، وبث فيه من روحه (عزَّ وجلَّ) ، وصنعه على أجمل وأكمل صورة ، فلو دس الإنسان أنفه فى هذا المسار ، وعبث به ، على نحو أو آخر ، فربما يحصل على ما يسعى إليه ، ولكنه سيخسر فى المقابل شيئًا آخر حتمًا .

وصمت لحظة ، ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ هذه هى الحتمية ، التى تصنع التوازن الطبيعى للأمور فى النهاية ، وتغلّب المشيئة الإلهية ، مهما بلغت براعة أو خبرات البشر .

ثم تنهَّد ، وأشار إلى (السيبورج) أمامه ، مكملاً :

ـ ولكننى سأستعير هنا مبدأ المقدّم (نور) .. فما دام هذا ممكنًا ، فهو لا يتعارض حتمًا مع المشيئة الإلهية .. فالله (جلّ جلاله) ، خلق الكون ، ووضع كل قوانينه التى نكتشفها رويدًا رويدًا ، ويستغلق علينا معظمها طوال الوقت .. أو كما قيل قديمًا .. التطوّر العلمى هو تحد مستمر ، وإهانة دائمة للذكاء البشرى ؛ فكلما تصوّرت أنك قد بلغت أعلى شئون العلم ، ظهر قانون طبيعى جديد ، يفسِّر الكثير مما أحاط به الغموض من قبل ، ولكنه يهدم قواعد قديمة فى الوقت ذاته .

صمت طويلاً هذه المرة ، وهو يتطلَّع إلى نسخة (السيبورج) ، الشبيهة بـ (محمود) ، قبل أن يقول :

ـ وعلى أى حال ، نحن نجهل ما الذى يمكن أن يقودنا إليه تقدُّم علمى واحد ، وواجبنا ألا نتراجع عن التجربة ، ما دام فى مقدورنا القيام بها .

غمغم العالم ، فى شىء من الحذر :

ـ هل نبدأ محاولة احتواء طاقة عضو الفريق السابق ؟!

صمت الدكتور (راشد) لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ـ على بركة الله .

اعتدل العالم ، وسأله :

ـ على الرغم مما قد يعرّض له هذا حياة المقدّم (نور) للخطر .

مطّ الدكتور (راشد) شفتيه ، وشرد ببصره بضع لحظات ، ثم أجاب فى حزم شديد :

ـ هو اختار هذا .

ولم يعد هناك ما يقال بعدها ..

على الإطلاق ..

* * *

لم يدر (نور) لماذا كان الضباب كثيفًا ثقيلاً هذه المرة ..

ولكنه لم ير شيئًا ..

لقد وجد نفسه داخل ذلك الفراغ الزمنى اللامتناه ، ولكن الضباب يحيط به من كل جانب ، ويكاد يجثم على أنفاسه .

ولم يكن (محمود) هناك ..

لم يكن هناك سوى ضباب ..

وفراغ ..

وخوف ..

وحاول (نور) أن يصرخ ..

أن ينادى (محمود) كما اعتاد ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكن الكلمات والصرخات لم تتجاوز حلقه ، أو حتى عقله قط ..

لم يدر لماذا ، أو ماذا تغيّر هذه المرة ..

ولكنه قاوم ..

بذل جهدًا خرافيًا ، ليتجاوز ذلك الحاجز الوهمى ، ويهتف مناديًا زميله وصديقه ..

قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ثم فجأة ، وجد نفسه يصرخ :

ـ أين أنت يا (محمود) ؟!

لم يأته أى جواب ، من وسط الضباب الكثيف ، فتابع وقد انحلّت عقدة عقله :

ـ لماذا ترفض إتمام الاتصال هذه المرة ؟! لماذا تبتعد ؟! إننـى أحتاج إليك يا صديقى .. الفريق كله يحتاج إليك .. حتى (طارق) ، حفيدى .. كلنا نحتاج إليك يا صديق العمر.

خُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا باهتًا ينادى اسمه ، فتلفّت حوله فـى توتر ، وحاول أن يخترق حجب الضباب ببصره ..

أو حتى بعقله ..

ولكن الصوت تكرَّر باهتًا ..

بعيدًا ..

مختنقًا ..

وبكل إرادته ، هتف :

ـ لا تبتعد يا صديقى .. كلنا بحاجة إليك .

بدا الصوت أكثر وضوحًا ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتكم يا (نور) .

ومن وسط الضباب الكثيف ، راح جسد هلامى يتشكَّل ..

ويتكوَّن ..

ويتضح ..

وما هى إلا لحظات ، وتجسَّد (محمود) أمام عقله ، على نفس الصورة التى رآه عليها فى آخر مرة ، وهو يتابع فى صوت حزين :

ـ لا يمكننى أن أتخلى عنكم أبدًا .

أجابه (نور) فى حماس :

ـ ونحن لم نتخل عنك يا (محمود) .

أومأ برأسه متفهمًا ، وبدا صوته أكثر حزنًا ، وهو يقول :

ـ تريد معرفة مصير الرفاق .

قال (نور) فى لهفة :

ـ وسر وجود (طارق) .

عاد يهز رأسه متفهمًا ، وهو يجيب :

ـ ليس هذا بالأمر العسير ، بالنسبة لمن فى مثل موقفى يا (نـور) .. فهنا يمكنك أن تخوض الزمان كله فى لحظة واحدة ، وعبر الزمكان ، يمكنك رؤية كل ما حدث ، فى أية لحظة ، عبر نهر الزمن كله .

تضاعفت لهفة (نور) ، وهو يقول :

- تعرف إذن سر وجود (طارق) .

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد يا (نور) ، ولكن قبل أن أخبرك ، أريدك أن تعدنـى بشىء واحد .

سأله فى قلق :

- وما هو ؟!

أشار (محمود) بيده لما حوله ، قائلاً :

- اتركونى هنا .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

- هنا ؟! فى فراغ نهر الزمن ؟! أى مطلب هذا يا صديقى ؟! إننا نشفق عليك فى وحدتك هذه ، ونسعى لإعادتك إلى عالمنا ، خاصـة وأنك ، على الرغم من تحولك من مادة إلى طاقـة ، مـازلت حيًّا ، ومن حقك أن ...

قاطعه (محمود) فى مرارة :

- من حقى ألا أتحول إلى شخص نصف آلـى .. من حقـى أن أبقى حيث تهدأ نفسيتى يا (نور) .

غمغم (نور) ، فى دهشة أكثر :

- هنا ؟!

أجابه فى سرعة :

- نعم يا (نور) .. هنا .. ربما بدا لكم هذا مأساويًا مؤسفًا ، وربما كنت أنا نفسى أتمنى العودة ، فى مرحلة ما ، إلا أننى ، ومـع مرور الزمن ، صرت أكثر حكمة ، وأكثر نضجًا ، وبدأت أدرك عظمة التواجد هنا .. فى مجرى نهر الزمن .. هنا يمكننى أن أكون أكثر فائدة وأكثر عونًا لكم يا (نور) ، أما لو عدت ، فى ذلك (السيبورج) شـبه البشرى ، فسأفقد الكثير مما أنا عليه الآن ، ولن أعود كمـا عرفتمونـى من قبل يا صديقى .. من المستحيل أن أعود كما كنت .. صحيح أننى ما زلت حيًا ، ولكننى أشبه بالموتى ، والموتى لا يعودون .

كان هذا المنطق مفاجئـًا بالنسبة لـ (نـور) ، الذى حدّق فـى وجه صديقه طويلاً ، قبل أن يغمغم :

- رباه ! لقد تصوّرت أن ...

قاطعه (محمود) فى توتر :

- أرجوك يا (نور) .. عدنى أن أبقى هنا .. إننى أبغض المصير الذى ينتظرنى ، داخل ذلك (السيبورج) .. أرجوك .

شعر (نور) بتوتر شديد ، يسـرى فـى عروقـه ، وهو يتطلّـع إلى صديقه القديم ، قبل أن يغمغم :

- فليكن يا صـديقى .. لن يعيدك أحـد إلى الأرض ، إلا بإرادتك الحرة .

تنفس (محمود) الصعداء ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك يا صديقى .. لقد أرحتنى كثيرًا .

ثم اعتدل ، متابعًا فى حماس :

ـ والآن أريدك أن تطمئن على رفاقنا .. انسحاب مادة (الزوريوم) من أجسادهم ليس بالأمر السهل ، ومعدلاتهم الحيوية تتكيَّف على الحياة بدونه الآن ، وسيعود الكل إلى وعيهم مساء الغد .. (أكرم) أول من سيستعيد وعيه منهم ، فى الحادية عشرة وست دقائق بالضبط ، وأوَّل ما سيفعله هو أن يسأل عن مسدسه .

تراقصت ابتسامة على شفتى (نور) ، أو أنه تصوَّر هذا فى عقله ، وهو يغمغم :

ـ هذا هو (أكرم) الذى أعرفه .

تابع (محمود) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ الباقون سيتبعونه تباعًا ، وستعود (سلوى) إلى وعيها فى نهايتهم ، فى الواحدة وسبع عشرة دقيقة صباحًا .

تساءل (نور) فى دهشة :

ـ هل يمكنك رؤية المستقبل بهذا الوضوح ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يغمغم :

ـ لا يعلم الغيب إلا الله (سبحانه وتعالى) يا (نور) ، ولكن التواجد فى نهر الزمن يكشف لمحات قليلة من المستقبل القريب ، أما ما تبقى ، فهو يغرق دومًا فى ضباب كثيف ، منعنى من رؤية ما سيحدث ، بعد أن يلتئم شمل الفريق ، بل ومنعنى حتى من معرفة مصيرى المستقبلى .

تمتم (نور) :

ـ أنت قلتها يا صديقى .. لا يعلم الغيب إلا الخالق (عزَّ وجلَّ) ، ولكن ماذا عن الماضى ؟!

ألقى الجزء الثانى من السؤال فى لهفة ، فابتسم (محمود) ، وقال :

ـ أتقصد سر وجود (طارق) ؟!

هتف (نور) :

ـ بالضبط .

أجابه (محمود) فى هدوء :

ـ وجود (طارق) ليس سرًّا مستغلقًا ، كما يبدو لكم ، ولكن هذا لا ينفى أنه لم يخضع للقواعد العادية ، فقد كانت تنشئته عجيبة بالفعل ، خاصة وأن (نشوى) كانت تحمله فى أحشائها فعليًّا ، عندما خضعتم جميعًا لحالة التجميد الزمنى الطويل .

غمغم (نور) فى دهشة :

ـ كانت تحمله .

أشار (محمود) بسبّابته ، قائلاً :

ـ و(س ـ 18) كان هناك أيضًا .

هتف (نور) ، وقد تضاعفت دهشته :

ـ وما علاقة كل هـذا ببعضه البعض ؟! حمل (نشوى) به ، والتجميد الزمنى الطويل ، و(س ـ 18) ؟! كيف يمكن أن تتفق كل هذه المعطيات مع بعضها البعض ؟!

أجابه (محمود) :

ـ لو أنك تابعت الـ ...

فجأة ، بدت كلماته غير واضحة ..

وفجأة أيضًا ، فقدت صورته تجسُّدها ، وراحت تهتز ..

وتتموّج ..

وتتلاشى ..

وكل ما فعله ، هو أن صرخ فى شىء من الذعر :

ـ رباه ! (نور) .. لقد وعدتنى .

وحاول (نور) أن يقول شيئًا ..

حاول ، وحاول ، ولكن آلامًا رهيبـة سرت فى جسده كله ، وتجمَّدت معها الكلمات على شفتيه وفى حلقه ..

واهتزَّت صورة (محمود) أكثر وأكثر ، وراحت تمتزج بالضباب المحيط ، والذى عاد يتكثّف بشدة ، ويمر كل شىء ، ويجثم على أنفاس (نور) ، الذى راح يلهث فى عنف ، وآلامه تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وبكل إرادته ، كسر حاجز الصمت ، صارخًا :

ـ ماذا يحدث ؟!

لم تكد الصرخة تتجاوز عقلـه ، حتى انتفض جسده كلـه فى عنف شديد ، وتناهت إلى مسامعه صرخة ..

صرخة ألم ..

وعذاب ..

ويأس ..

صرخة تحمل صوت صديق عمره السابق ..

صوت (محمود) ..

صرخة تمزَّقت لها نياط قلب (نور) ، وجعلته يكرِّر :

ـ ماذا يحدث ؟!

ومرة أخرى ، انتفض جسده بعنف ..

بمنتهى منتهى العنف ..

وغمرت الآلام جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

آلام لم يشعر بمثلها من قبل قط ..

آلام بلا حدود ..

ولوهلة ، شعر (نـور) وكـأن روحـه ستفارق جسده ، أو أنـه لن يحتمل هذا العذاب الرهيب ..

وبكل ما يشعر به صرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

ولكن صرخاته كلها انطلقت داخل عقل مكدود ..

مهدود ..

منهك ..

منهار ..

ثم كانت تلك الانتفاضة الأخيرة ، الأكثر عنفًا ، والتى أطلق بعدها شهقة قوية ، هاتفًا :

ـ ولكن لمـاذا ؟!

سمع صوت الدكتور (راشد) ، يخترق حجب الضباب ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ استيقظ أيها المقدَّم .. عد إلينا .

سرت فى جسده ارتجافة شديدة ، قبل أن يفتح عينيه ، ويحدِّق فى وجه الدكتور (راشد) ، ومجموعة الأطباء المحيطين به ، ثم يغمغم فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

زفر الدكتور (راشد) بكل توتره ، وقال :

ـ حدث أنك قد عدت إلينا بأعجوبة .

وأضاف عالم آخر :

ـ تصـوَّرنـا خـلال السـاعة الماضـية أننـا قد خسرنـاك إلى الأبـد .

غمغم (نور) ذاهلاً :

ـ ساعة ؟! أأنا فاقد الوعى منذ ساعة كاملة ؟!

هزَّ الدكتور (راشد) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ بل منذ ساعتين وسبع دقـائق أيها المقدَّم .. لقد بقيت فى غيبوبـة صناعيـة لمـا يقرب من السـاعة ، وبعدهـا قفـزت كـل معدلاتك الحيوية إلى حد رهيب ، حتى بدا وكأن جسدك يعمل بثلاثة أو أربعة أضعاف طاقته المعتادة ، وكان هذا كفيلاً بانهيـاره التام ، لو لم توقف هذا .

تساءل (نور) فى قلق :

ـ ولماذا حدث هذا هذه المرة ؟!

أجابه الدكتور (راشد) فى توتر ، حاول أن يكتمه :

ـ لأن هذه المرة كانت تختلف .

سأله بقلق أكبر :

ـ فيم ؟!

تطلَّع إليه الدكتور (راشد) بضع لحظات فى صمت ، ثم نهض ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وقال وهو يشيح بوجهه :

ـ لقد قمنا بالتجربة .

كان الجواب واضحًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد غمغم (نور) :

ـ أية تجربة ؟!

أجابه فى صرامة متوترة :

ـ احتواء طاقة زميلك .

قفز (نور) فى مكانه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! كيف تفعلون هذا دون استشارتى ؟! كيف ؟! المفترض أنه لقاء أخير ، قبل أن نبدأ تجربة الاحتواء ، وقبل أن ...

قاطعه الدكتور (راشد) ، فى عصبية شديدة :

ـ لم تكن هناك فرصة أفضل .. كنت متلهفًا للقائه ، مما يضاعف من طاقة اللقاء وكانت أجهزتنا كلها تعمل بكفاءة ، فلماذا الانتظـار ؟!

هتف (نور) فى غضب :

ـ هذا ما كان مقرَّرًا .

تضاعفت صرامة الدكتور (راشد) وعصبيته ، وهو يقول :

ـ لا أحد هنا يتخذ القرارات سواى أيها المقدّم .. أنا وحدى أقرّر ما هو صالح علميًا .

صاح (نور) فى حدة :

ـ وماذا عن إرادة الآخرين ؟!

أشار إلى باب الحجرة ، هاتفًا فى حدة :

ـ تنتهى هناك .. عند ذلك الباب .

احتقن وجه (نور) ، وهو يقول فى غضب :

ـ يبدو لى أنك تتجاوز حدودك يا دكتور (راشد) .

أجابه الرجل بمنتهى العصبية :

ـ حدودى هى كل ما يسمح به العلم أيها المقدّم ، ومن هذا المنطلق ، أرى أننى لم أتجاوز شيئًا .

ثم لوّح بسبّابته فى وجه (نور) مستطردًا بمزيد من العصبية :

ـ أما أنت ، فقد تجاوزت كل حدود اللياقة والتسلسل القيادى ، علمًا بأنك وفريقك ، لم تعد لكم أية صفة رسمية ، فى هذا العصر .

انقض عليه (نور) بحركة مباغتة ، وهو يقول :

ـ صفة رسمية أو بدون ، ستعيد (محمود) إلى حيث أتيت به .. لن يجلبه أحد إلى هنا ، على الرغم منه .

اندفع رجال الأمن نحو (نور) ، فى حين صرخ الدكتور (راشد) ، وهو يجاهد لتخليص نفسه منه :

ـ مستحيل ! عودته أصبحت مستحيلة .

هاجم رجال الأمن (نور) عند هذه النقطة ، إلا أنهم أدركوا ، فى اللحظة التالية ، أن السيطرة على غضبه ، تبدو مستحيلة بالفعل ، فى مثل هذا الموقف ..

لقد استقبل هجومهم بنشاط جم ، لايتناسب مع شخص استيقظ منذ ساعات ، من حالة تجميد زمنى طويلة ، فلكم أقربهم إليه فى أنفه مباشرة ، ثم دار على عقبيه ، ولكم الثانى فى فكه ، وانحنى يتفادى لكمة الثالث ، قبل أن يكيل له لكمة ، ألقته مترين إلى الخلف ..

وقبل أن ينجح الدكتور (راشد) فى الفرار ، فوجئ بـ(نور) ينقضّ عليه مرة ثانية ، هاتفًا فى غضب صارم :

ـ أعد (محمود) .

صرخ الدكتور (ناظم) فى ذعر :

ـ لقد انتزعنا طاقته من نهر الزمن بمعجزة ، ولن يمكننا إعادته مرة ثانية ، وإلا ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يضيف :

ـ وإلا تشتتت طاقته فى عالمنا ، و ... ولقى مصرعه .

وتجمَّد (نور) تمامًا ، بعد هذا الجواب ..

فالآن ، لم يعد باستطاعته أن يفى بوعده لصديقه القديم ..

لقد أعادوه إلى عالمنا ، بلا استئذان ..

وبلا إرادة ..

وبلا عودة ..

★ ★ ★

7ـ الشـــمل ..

إنها مسألة وقت فحسب ..

مسألة زمن ..

لو صح ما قاله (محمود) ، فى ذلك الفراغ الزمنى ، فالكل سيدأ فى استعادة الوعى ، بعد أقل من ساعتين ..

ويبقى السؤال ..

ماذا بعد أن يعود الفريق ؟!

ماذا سيكون مصيرهم ؟!

كيف سيتعامل معهم هذا الزمن ، الذى كانوا يعتبرونه مستقبلاً ، ثم أصبح حاضرهم ؟!

جالت كل هذه الأسئلة فى رأس (نور) ، وهو يجلس فى ذلك الركن ، من مبنى إدارة المخابرات التكنورقمية ، محاطًا بجدران خفية من الطاقة ، يستحيل اختراقها ، وإن سمحت له برؤية كل ما خلفها ..

فقط تمنح الهواء لونًا برتقاليًا باهتًا ، فى أماكن تواجدها ..

وفى توتر ، اقترب (نور) من أحد تلك الجدران الخفية ، ومدَّ يده نحوها ، فشعر بوخز عنيف ، فى جسده كله ، وسمع صوت (أيمن) يقول :

ـ لو حاولت اختراقها ، ستدمر توازنك الخلوى كله .

تراجع بحركة حادة ، فى نفس اللحظة التى زال فيها اللون البرتقالى الباهت من الهواء ، وظهر (أيمن) ، وهو يقول :

ـ إنه أسلوب أمن جديد ، لم يكن معروفًا ، عندما اختفيت مع فريقك .

شدَّ (نور) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كل شىء يتطوَّر :

وافقه (أيمن) بإيماءة من رأسه ، وهو يدخل حدود الزنزانة الخفية ، قائلاً :

ـ ومن المحتَّم أن نتقبَّل هذا التطوّر ؛ فلن يمكننا أن نقاومه ، مهما فعلنا .

رمقه (نور) بنظرة صامتة ، تشف عن الرضا ، قبل أن يشيح بوجهه ، فى محاولة لإخفاء انفعاله ، فحاول (أيمن) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ أما زلت غاضبًا لعودة زميلك ؟!

أجابه (نور) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ ما يغضبنى هو عودته ؛ على الرغم من إرادته .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟! ربما تغيَّرت إرادته ، بعد أن يعتاد ذلك الجسد ، المصنوع من مزيج من خلاياه الحية ، وذلك (الزوريوم) .

قال (نور) فى حنق :

ـ أتقصد الجسد شبه الآلى ؟!

صمت (أيمن) لحظة ، ثم قال :

ـ هذا أقصى ما يمكننا أن نفعله من أجله .

قال (نور) فى حدة :

ـ كان يمكنكم تركه وشأنه .

هزَّ رأسه نفيًا فى حزم ، وقال :

ـ كلاً .. لم يكن يمكننا هذا .

انعقدَ حاجبا (نور) فـى شدة ، وهمَّ بقول شىء مـا ، ولكن (أيمن) استوقفه بإشارة من يده ، قائلاً فى حزم أكثر :

ـ عندما تعود إلى الخدمة ، ربما تعرف لماذا لم يكن يمكننا هذا ، أما الآن ، فالأمر يخضع إلى سرية نظم الأمن القومى .

أطلّ تساؤل متوتر من عينى (نور) ، وهو يتطلّع إلى (أيمن) فى حيرة ، فلوّح هذا الأخير بذراعه ، قائلا :

ـ ولكن دعنا نطرح هذا الأمر جانبًا ، حتى يعتاد (محمود) ذلك الجسد الزوريومى ، وتبدأ طاقته باستخدامه على نحو جيد ، أما الآن ، فهناك أمر آخر ، ينبغى أن نناقشه معًا .

سأله (نور) فى حذر :

ـ أى أمر هذا ؟!

أشار (أيمن) بيده ، قائلاً :

ـ أمركم أنتم .

حملت عينا (نور) المزيد من الحذر والتوتر ، فتابع (أيمن) :

ـ فى كل الأوراق الرسمية ، ووفقًا لكل المعايير الدولية ، لا وجود لفريقك فى هذا الزمن ، إلا فى كتب التاريخ فحسب ، وهذا يعنى أنه لا كيان رسمى لكم فى حاضرنا ، مما يعنى بالتبعية انعدام المستقبل .

اعتدل (نور) ، وهو يقول :

ـ يمكننى أن أجزم أننى لم أفهم شيئًا ، من هذه المقدّمة الطويلة .

ابتسم (أيمن) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ـ ولكن كان لا بد منها .

ثم أضاف فى حسم :

ـ حتى أنقل إليك عرض السيِّد رئيس الجمهورية .

قال (نور) ، بمنتهى الحذر :

ـ عرض الرئيس ؟!

أجابه (أيمن) فى حزم :

- بالطبع .. صحيح أننا لم نعلن عن وجودكم رسميًا ، بأية صورة من الصور ، ولكن تقريرًا وافيًا عن حالتكم تم وضعه أمام السيِّد الرئيس ، مؤيدًا بالصور والأفلام الرقمية ، وسجلاتنا عن ذلك الكهف ، الذى فقدتم فيه قديمًا ، والكهف الزمنى ، الذى أصبحتم فيه حاليًّا .. ولقد اجتمع سيادته بكبار مساعديه ومعاونيه ، لبحث كل ما يتعلَّق بكم ، قبل أن يقدِّم عرضه هذا .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وغمغم :

- كلى آذان مصغية .

أجابه (أيمن) :

- سيادة الرئيس يعرض عليكم العودة إلى الخدمة ، مع كل الترقيات والعلاوات المتأخرة ، ولكن دون الإعلان عن عودتكم رسميًا .

قال (نور) فى دهشة :

- ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- الناس أعداء ما يجهلون ، ويتخذون دومًا موقفًا متحفزًا حذرًا ، من كل ما يخالف النسق الطبيعى ، الذى اعتادوه فى مساراتهم اليومية التقليدية ، والإعلان عن عودتكم ، بعد أن أصبحتم أسطورة ، سيثير حالة من البلبة الشديدة فى المجتمع ، ولن يتقبلكم الناس فى سهولة ، بل ربما أصبحتم معزولين عن كل ما حولكم تمامًا .. ثم إنه سيصبح من العسير تبرير عودتكم ، دون أن تتقدموا فى العمر ، فى حين أن الأمن القومى اقتضى عدم إعلان وجود شعب (جروندا) ، أو الإشارة إلى رحيله .. باختصار ، عودتكم الرسمية ستتعارض مع كل قواعد الأمن القومى .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، وهو يقول :

- إذن ، فبعد كل ما فعلناه ، من أجل الوطن ، ومن أجل العالم أجمع ، صار وجودنا تهديدًا للأمن القومى .

تنهَّد (أيمن) فى أسف ، قائلاً :

- أنت خير من يدرك تعقيدات مثل هذه الأمور .

تضاعف شعور (نـور) بتلك الغصة فى حلقـه، وهو يشيح بوجهه، ويقاوم تلك المرارة، التى شملت كيانه كله ..

لم يكن من السهل عليه قط أن يتقبَّل هذا التطوَّر المؤسف للأمور ..

لم يكن من السهل أبدًا، أن يغوص فى ذلك الكهف الجديد ..

كهف الزمن ..

والمستقبل ..

« لم أسمع ردك يا (نور) .. »

قطع (أيمن) مرارته بالسؤال، فالتفت إليه فى بطء، وقال فى صوت، لم تتلاش مرارته بعده :

ـ وماذا لو لم أقبل العرض ؟!

صمت (أيمن) طويلاً هذه المرة، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ أتمنى ألا يحدث هذا ؟!

سأله (نور) فى توتر :

ـ لماذا ؟!

أشاح (أيمن) بوجهه، قائلاً فى عصبية :

ـ أتمنى هذا فحسب .

مرة أخرى، تضاعف شعور (نـور) بالمرارة، وهو يتطلَّع إليه فى صمت، قبل أن يقول :

ـ أيوحى هذا بأنه ليس لدى خيار ؟

غمغم (أيمن)، دون أن يتطلَّع إليه :

ـ تقريبًا .

لم يكن من الممكن أبدًا أن يتخيَّل (نـور) نفسه فى مثل هذا الموقف .. لم يكن من السهل عليه أن يتقبله ..

ويهضمه ..

ويستوعبه ..

ولكن عقليته هدته إلى أن يسأل :

ـ وماذا سيصبح موقفنا ، فى حالة الموافقة ؟!

أدار (أيمن) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ كما أخبرتك .. ستعودون إلى العمل .

سأله (نور) فورًا :

ـ بأية صفة ؟!

ارتبك (أيمن) ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

سأله (نور) فى صرامة :

ـ إننا لا نملك الإفصاح عن وجودنا ، ولا يمكننا العمل بوجوه مكشوفة ، أو بهويات واضحة ، فكيف ستعود إلى العمل بالضبط ؟!

قال (أيمن) فى حماس :

ـ أنتم تمتلكون خبرات لا يمكن إهمالها يا (نور) .

قال فى حدة :

ـ خبرات تعود إلى ثلاثين عامًا مضت يا رجل .. خبرات وصفتموها بأنها تاريخية .. كل مهارات (سلوى) لن تساوى شيئًا فى هذا العصر ، الذى قد تتساوى علومها فيه مع علوم طالب فى مرحلته الثانوية ، وكل علوم (نشوى) ، وبرامج الكمبيوتر التى ابتكرتها ، قد لا تصلح حتى للعمل مع أجهزة الكمبيوتر فى هذا العصر ، وحتى دراسات (رمزى) النفسية ، ستبدو هنا أشبه بمقدمة كتاب عن الطب النفسى .. أما (أكرم) ، فأظنه لن يصلح ، بمسدسه التقليدى ، إلا للعرض فى متحف التاريخ الطبيعى لديكم .

قال (أيمن) فى سرعة :

ـ وماذا عنك يا (نور) ؟!

هتف فى مرارة :

ـ ماذا عنى ؟! إننى أقود فريقًا لم يعد له وجود إلا فى كتب التاريخ .. فريقًا لم يستعد وعيه بعد ، وأحد أفراده مجرد آلى شبه بشرى ، يذخر بطاقة قديمة ، لم يتعلم التعامل بها مع العالم الملوس حتى الآن .. نعم ماذا عنى ؟!

أجابه فى حزم :

ـ أنت تمتلك موهبة خاصة ، لا تتعارض مع التطوّر الزمنى يا (نور) .. موهبتك تكمن فى طبيعتك العقلية .. فى قدرتك على الاستنتاج والاستنباط ، والوصول إلى حلول مدهشة ، تعجز العقول عن مجرد التفكير فيها ، أو التطرّق إليها ، ثم إنك تمتلك روح القيادة ، وهى سمة تكفى لوضعك على رأس أى فريق ، فى أى زمن كان ..

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ خطأ يا صديقى .. خطأ .. حتى الاستنتاج والاستنباط يحتاجان إلى المعرفة ، فلا يمكننى استنتاج ما يتجاوز معارفى وعلومى ، ومما لا شك فيه ، أن العقود الثلاثة الماضية قد حملت من المعارف والعلوم ، ما يفوق إدراكنا ، وربما قدرتنا على الفهم أيضًا ، وهذا ما يبدو فى كل ما يحيط بى هنا .

صمت (أيمن) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أنت على حق يا (نور) .. كل شىء يتطوّر ، بأكثر مما يمكنكم استيعابه .

ثم ابتسم ، مضيفًا :

ـ وهذا ينطبق على نظم التعليم والتدريب أيضًا .

سأله (نور) ، مستعيدًا حذره :

ماذا تعنى بهذا ؟!

أجابه فى حسم :

ـ أعنى أن كل ما ذكرته ليس عائقًا يا (نور) ، فلدينا فى هذا العصر نظم تلقين وتدريب رقمية ، وتتعامل مع المخ البشرى مباشرة ، ويمكنها أن تنقل معارف قرن كامل إلى رأسك ، خلال أيام قليلة .. وهناك طرق أكثر سرعة ، تعتمد على زرع شريحة رقمية خاصة فى المخ ، تحوى ملايين الميجابايتات من المعلومات .. صدقنى يا صديقى .. كل ما ذكرته لن يمثل مشكلة ، فى عصرنا هذا .. (سلوى) و(نشوى) ستلحقان بكل ما فاتهما ، خلال العقود الثلاثة الماضية ، و(رمزى) سيدرس كل الحالات الجديدة ، التى لم يواكبها من قبل ، وأنت ستلحق بعلوم ومعارف العصر ، خلال أسبوع واحد ، أما (أكرم) ، فسرعان ما تدرك كم يحتاج عصرنا إلى مثله .

سأله (نور) متوترًا :

ـ وما دام الأمر بهذه البساطة ، فلماذا نحن ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لأنه لديكم ما لا يمكن زرعه أو تلقينه يا (نور) .. لديكم روح الفريق ، والقدرة على مواجهة المخاطر ، مهما تجاوزت حدود المعقول .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطردًا :

ـ صدقنى يا (نور) .. لو لم يتقدَّم سيادة الرئيس بعرضه ، لاقترحت عليه تقديمه ؛ فأنا خير من يدرك قيمتكم ، فى كل زمان ومكان .

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، قبل أن يقول ، وهو يشدّ قامته فى اعتداد :

ـ وهل وجودى فى هذه الزنزانة ، ذات الجدران الخفية ، وسيلة من وسائل التفاوض ، وفرض القرار ؟!

أطلق (أيمن) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ مطلقًا يا (نور) ، ولكنك هاجمت طاقم حراستنا ، وهذا يحتم احتجازك ، وفقًا للقانون ، حتى يتم استجوابك ، أو توجيه الاتهام إليك .

ثم تحرك جانبًا ، وأشار بيده ، مستطردًا :

ـ وهأنتذا حر فى الانصراف .

لم يكد ينطقها ، حتى اندفع أحد أفراد طاقم العلماء داخل المكان ، وهو يقول فى انفعال :

ـ سيِّدى القائد .. لقد فعلها .

التفت إليه الاثنان فى تساؤل ، فتابع لاهثًا :

ـ لقد بدأ تفاعله .

وكان هذا يعنى أن تجربة إعادة (محمود) قد اكتملت ..

ولا أحد يمكنه أن يتوقَّع كيف ستكون النتائج ..

لا أحد على الإطلاق .

★ ★ ★

8- ختــــام ..

كان المشهد مبهرًا بحق ..

كان مثيرًا ..

مذهلاً ..

خارقًا ..

وفى صمت مبهوت ، وقف (نور) يحدِّق فى شبيه (محمود) ، وهو يجلس على طرف فراش بسيط ، وقد اتصلت عشرات الأسلاك والأنابيب والأجهزة بجسده شبه الآلى ..

كانت ملامحه باردة ، خاوية ..

ولكنه (محمود) ..

نفس (محمود) ، الذى عرفه قديمًا ، بجسده النحيل ، ومنظاره الطبى البسيط ..

(محمود) ، الذى لم يتخيَّل رؤيته مرة ثانية ..

ليس فى هذا العالم ..

وفى حذر شديد ، اقترب (نور) من شبيه (محمود) نصف الآلى ، وغمغم :

- حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .

وبحركة بطيئة ، شبيهة بحركة (س - 18) ، استدار إليه (محمود) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وظلت ملامحه جامدة باردة ، حتى تخيَّل (نـور) أنه سينطق بدوره تلك العبارة التقليدية :

- (س - 18) فى خدمتك يا سيِّدى .

وفى توتر ، تراجع (نـور) خطوة ، وهو يحدِّق فى وجه شبيه (محمود) ، فقال الدكتور (راشد) فى حماس :

- سيستغرق الأمر بعض الوقت .. لقد بدأ يعتاد استخدام ذلك الجسم شبه الآلى منذ لحظات فحسب ، ولم يألف تحريكه بعد ، ولكن بعد أسبوع من التأقلم والتدريب ، لن يمكنك التفرقة بينه ، وبين بشرى عادى .

غمغم (نور) :

ـ وماذا عن الأعطال ؟!

زفر الدكتور (راشد) ، وقال :

ـ لا يمكننـا أن نـدعى أنهـا لـن تحـدث أيهـا المقدَّم ، فمهمـا تطـوَّر العـلم أو تقـدَّم ، فلـن يمكنـه أن يحـاكى خليـة واحـدة ، من صنع الخالق (عزَّ وجلَّ) ، وكل ما تراه أمامك مجرد صورة صـناعية مـن زميلك ، ستعانى حتمًا من كل عيوب الصناعة والتقنيـة .

تطلَّع (نور) إلى شبيه (محمود) فى إشفاق ، وقال :

ـ هذا حتمى بالتأكيد ، ولقد اختبرته بنفسى مع (س ـ 18) ، الذى كنا نعتبره آليًا مثاليًا ، وعلى الرغم من هذا لم يكن بإمكانـه أن يتفاعل ، أو يتخذ قرارات منفردة .

ثم هتف فى لهفة :

ـ وبالمناسبة ، ماذا كان مصيره ، خلال العقود الثلاثة الماضية ؟! وأين هو الآن ؟!

هزَّ الدكتور (راشد) رأسـه ، وقـال مشيحًا بوجهـه ، وكـأنمـا يحاول منع (نور) من رؤية انفعالاته ، أو كشف أغواره :

ـ لا أحد يدرى أين هو الآن .

كـان مـن الواضـح أنـه يخفـى شـيئًا مـا ، أو يحـاول إخفـاء شىء ما ، ولكن (نور) لم يحاول سؤاله عنه ؛ لثقته فى أنـه لـن يفصح عـن الأمـر أبـدًا ؛ لـذا فقد استدار مرة أخرى إلى شبيه (محمود) ، وقال :

ـ تُرى متى سيكون بإمكانه أن يكمل حديثـه معى ، حول سر وجود (طارق) .

أتاه الجواب هذه المرة ، على لسـان (طـارق) نفسـه ، الذى ظهر من خلفه ، قائلاً فى مرارة :

ـ أخشى أنه لن يكون فى إمكانه هذا أبدًا .

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، قائلاً :

تنهَّد (طارق) فى مـرارة ، وأشـار إلـى الدكتـور (راشـد) ، قائلاً :

ـ لأنه لم يحتفظ بذاكـرة مرحلة الفـراغ الزمنى .. وهم كـانوا يعلمون هذا ، قبل حتى بدء التجربة .

استدار (نور) إلى الدكتور (راشد) فى غضب ، قائلاً :

ـ كنتم تعلمون ؟!

تراجع الدكتور (راشد) بحركـة حـادة مذعورة ، وهو يلوّح بيديه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ كان هذا عرضًا جانبيًا حتميًا ، ولم يكن هناك بـد مـن إجراء التجربة فى الوقت المناسب .. لن توقف مسار العلم ، من أجـل شخص واحد .

وأشار إلى (طارق) ، مستطردًا فى هلع :

ـ ثم إنه مـا زال هنـا ، وهـذا يعنى أن وجوده لـم يتأثّر بمـا فعلنـاه .

كاد (نور) ينقض عليه ، وهو يقول فى غضب شديد :

ـ إذن فأنتم ..

استوقفه (طارق) فى توتر :

ـ رويدك يا جدى .. لقد عهدتك دومًا قويًا متماسكًا ، فـلا تفقد هذا الآن .

أغمض (نور) عينيه بضـع لحظـات ، والتقط نفسًا عميقًا ، وقال ـ وإن لم يتلاش غضبه بعد ـ :

ـ لقد هدّدوا وجودك بالفناء ..

أجابه (طارق) :

ـ ولكنهم على حق .. ما دمت هنا ، فهذا يعنـى أن مـا حـدث ، حتى هذه اللحظة ، لا يهدّد وجودى .. وربما لن يتذكّر (محمـود) شيئًا عنى ، عندمـا يستعيد قدرتـه علـى التـأقلم مـع هـذا العـالم ، ولكنه ذكر شيئًا ما بشأنى حتمًا .. شيئًا سيهضمه عقلك كالمعتاد ، وسيقودك إلى الحقيقة ذات يوم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ هـذا صـحيح يـا (طـارق) .. لقـد ذكـر شـيئًا عن حمل (نشـوى) بك ، عندمـا تم تجميدنـا ، وعن شـعب (جرونـدا) ، و(س ـ 18) ..

هتف (طارق) :

ـ رباه ! هل يمكن أن يعنى هذا أن ...

قاطعهما دخول أحد العلماء ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول فـى انفعال جارف شديد :

ـ لقد بدءوا فى استعادة وعيهم .

دفع هذا الجميع إلـى العدو بكل حماسهم إلى قاعة الإفاقة ، حيث استقرت أجساد أفراد فريق (نور) ، فوق وسـادات هوائية خاصة ، وقال (طارق) فى حماس :

ـ جدى .. هل تعتقد أن ...

ضغط (نور) يده ؛ ليمنعه من الاستطراد ، وغـالب انفعالـه الشديد ، عندما سعل (أكرم) ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أين مسدسى ؟!

عندئذ رفع (نور) عينيه إلى السـاعة الرقمية على الجدار ، ورآها تشير إلى الحادية عشرة وست دقائق بالضبط ..

(محمود) كان على حق إذن ..

الفريق سيعود ..

و(محمود) نفسه عـاد ..

و(طارق) انضم إليهم ..

وبقى السؤال الأخطر ..

ماذا يخبئ لهم المستقبل ، فى كهفهم الزمنى الجديد ؟!

مـاذا ؟!

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

الكهف

- بقفزة إلى المستقبل ، غاب فريق (نور) كله فى غياهب الزمن ..
- غيبوبة عنيفة تكتنف عقول الجميع ، وخطر داهم يواجه المستقبل كله ..
- تُرى هل ينجو (نـور) وفريقـه ، أم ينتهى الموقف كله كما بدأ .. فى (الكهف) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيـرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ،من أجل المستقبل .

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

155

الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع